مراحل التمكين

دراسة قرآنية

تأليف

أ. د رمضان خميس زكي الغريب

روائع الفكر الإسلامي

نُخَاطِبُ العَقلَ والقَلبَ





مراحل التمكين

دراسة قرآنية

د . رمضان خميس زكي الغُرَّيب

عضو هيئة التدريس في جامعة الأزهر

وأستاذ الدراسات القرآنية المساعد في كلية المعلمين –حائل – المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله, والصلاة والسلام على رسول الله,– ﷺ – محمد وآله وصحبه ومن والاه, وبعد: فقضية التمكين من القضايا الأساسية التي تهم كل مسلم, ويسعى لها كل مخلص, حريص على نشر دينه, وتعبيد الناس لربه, حتى تقوم في الدنيا خلافة تحكم باسم الله عباد الله في أرضه, وعلى ضوء منهاجه, ولايتم هذا التمكين إلا بتصور صحيح لقضية التمكين ومراحلها, على بصيرة وعلم.

-2-

وقد عني القرآن الكريم بالحديث عن هذه القضية أيما عناية , وتناولها من عدة جوانب, من جانب أهمية التمكين وضرورته,وجانب خضوعه لسنة ماضية وقانون متبع, لا يتخلف ولا يتحول, وجانب صفات جيل التمكين جنودا وقادة, وجانب مراحل التمكين, إلى غير ذلك من جوانب تلك القضية التي تحتاج إلى دراسات تأصيلية متواصلة تهدف إلى إبراز هذه الجوانب وإسقاطها على واقع المسلمين حتى يأخذوا خطوة حقيقية إلى السلوك نحوها فهما لأبعادها وتصورا لدلالاتها, وإدراكا لقوانينها وإ يعابا لسنن الله فيها.

-3-

وقد عني القرآن بذكر مراحل التمكين ذكرا واضحا, ورصد لكل مرحلة عددا من النماذج, وقد أخذت هذه الدراسة نموذجا لكل مرحلة من المراحل؛ رغبة في حصر كل مرحلة واستخراج سماتها,وأساليبها, فليس المراد للدراسة حصر نماذج التمكين؛ إنما المراد تحديد المراحل ومعرفة خصائص كل مرحلة.

-4-

وقد فرق القرآن بين نوعين من التمكين, التمكين الفردي, والتمكين الجماعي, أو التمكين للأمة, فتمكين الفرد يتضح في ثباته على مبدئه, حياته له, وموته في سبيله, وتحكيم منهجه في نفسه, ومن له عليه ولاية قدر استطاعته, حتى يفضي إلى ربه,ودعوته غيره إلى عقيدته, ومشاركته في نفع من حوله بهذا المنهاج الذي يسعى

لتمكينه في الأرض, وإن مات في الطريق قبل أن يصل إلى التمكين العام, ويمثل هذا النوع من التمكين المرحلة الأولى والثانية من مراحل التمكين, وهي مرحلة البلاغ والتعريف, ومرحلة المشاركة والتأليف, وتمكين الأمة هو التمكين الكامل الذي يجمع عناصر ثلاثة: الإنسان, والمنهاج, والأرض. ويمثل ذلك المرحلة الثالثة من مراحل التمكين وهي مرحلة تمام التمكين, وإقامة الدولة.

-5-

وإذا كان التمكين هو غاية المسلم في الحياة؛ بأن يرى رسالة الله بالغة للعالمين, وكلمة الله فوق كل أرض, وتحت كل سماء؛ فإن هذه الغاية التي هي مقدمة لغاية كبرى, هي رضا الله- ﷻ- لا تولد هكذا ضربة لازب ولا توجد بين عشية وضحاها, ينام الناس ليلهم على حالهم فإذا هم في صبيحتهم ممكنون سائدون؛إنما تمضي حسب سنة ثابتة،وإرادة ماضية، وقانون لا يتخلف ولا يتحول، شأن كل سنة من سنن الله –ﷻ-، وميلادها على مراحل وفترات, وفي هذه الصفحات نعرف أن التمكين يأخذ أدواراً متعددة ,حتى يصل إلى صورة التمكين الحضاري الذي يتيح للناس أن يعبدوا الله – ﷻ- في حرية كاملة دون ضغط, أو إكراه, أو تزوير للإرادة , أو تعتيم للرؤية ,أو خلط للمفاهيم, وعندما يتاح للإنسان(مطلق إنسان) في الأرض(مطلق أرض) هذا الجو من الحرية الفكرية والخيار العقلي سيجد نفسه بفطرته – التي فطره الله عليها – تقوده قدماه, وتبصره عيناه, ويسعى به عقله وجوارحه إلى طريق الله عز وجل (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)([1]).

وفي الصفحات القادمة نحاول أن نرصد مراحل التمكين كما صورها القرآن الكريم,

أهمية الموضوع:

لدراسة هذه القضية من قضايا التفسير الموضوعي أمور مهمة دفعتني إلى دراستها, ومن أبرز هذه الأمور:

1- أن واقع المسلمين يحتاج إلى تبصيرهم بالسبل والمراحل التي مر بها تمكين السابقين ممن ذكر القرآن الكريم قصصهم نماذج يهتدي بها السائرون إلى

---

[1] -الروم:4, 5.

الله في طريق التمكين, حتى ينسجوا على منوالهم, ويصلوا طال الزمان بهم أم قصر إلى التمكين الحقيقي والكامل لدين الله في الأرض.

2- ربط قضايانا وتصوراتنا بالمنظور القرآني, الذي لا يضل من اهتدى به وسار على نهجه, وتأصيل هذه التصورات تأصيلا قرآنيا؛ لأن وجهات نظر العاملين للإسلام قد تختلف في كيفية التمكين للأمة المسلمة ومراحل هذا التمكين فكانت هذه الدراسة تقديما لجانب من جوانب قضية التمكين وهو المراحل التي مر بها التمكين؛ رغبة في أن يرتبط تصور العاملين للإسلام بهذا الأصل الأول من أصول الإسلام في تصوره وتصويره للقضايا التي يتعامل معها وتقديمه لحلول جذرية على ضوء هذا المنهاج.

3- إظهار بعض الجوانب الرائدة لنماذج مكَّن الله لها, وربط هذه الجوانب بواقع المسلمين, بعد أن جربوا أفكارًا غربية مرة, وشرقية أخرى لحل الأزمة الكامنة في واقعهم؛ لتكون هذه النماذج التي مُكنت لونًا من ألوان الدفع الحقيقي إلى طريق التمكين.

4- إبراز وسائل هؤلاء الممكنين في طريق وصولهم إلى التمكين, وتوصيف أهم صفاتهم, وأخلاقهم, وطرق عرض دعوتهم وعقيدتهم على الناس حتى يصلوا إلى قمة التمكين.

5- تأكيد أن التمكين لا يكون عن طريق القيادة فقط, أو الجنود فحسب؛بل لابد من تكامل بين واجب الجندي والقائد, وبين المنهاج والأرض؛ حتى يتم التمكين الحقيقي.

6- إعطاء مفهوم صادق لقضية التمكين في الأرض, مصدره القرآن وفهوم أهل العلم والمختصين لهذا العطاء القرآني في تلك القضية التي تعد جزءا رئيسا من مهمة الإنسان في الأرض وهي خلافته عن الله في أرضه على ضوء منهاجه.

مشكلة البحث:

قضية التمكين للدين قضية تهم المسلم في كل زمان ومكان,لكن تختلف طرق فهم المقدمات الأساسية التي يتوصل من خلالها إلى هذه النتيجة ومن هذه

المقدمات والجوانب الأساسية معرفة المراحل التي يمر بها التمكين وسمات كل مرحلة ووسائلها فكانت هذه الدراسة تحديدا لأحد هذه الجوانب وهو جانب مراحل التمكين في ضوء القرآن وفهم المفسرين وأهل الاختصاص لدلالات الآيات القرآنية.

أسئلة البحث:

السؤال الأساسي لهذه الدراسة هو: ما المراحل التي يمر بها التمكين؟ وينشأ عن هذا السؤال أسئلة أخرى هي:

1- ما مفهوم التمكين؟ وما الفرق بين التمكين الفردي والتمكين الجماعي أو التمكين للأمة؟

2- ما مرحلة البلاغ والتعريف؟وما أبرز سماتها؟ وما أهم وسائلها؟.

3- ما مرحلة المشاركة والتأليف؟ وما أهم سماتها؟ووسائلها؟.

4- ما مرحلة التمكن وإقامة الدولة؟ وما أبرز سماتها, ووسائلها؟.

5- ما عناصر التمكين الكامل, وإقامة الدولة؟

6- ما سمات إنسان التمكين قائدا, وجنديا؟.

7- ما منهاج التمكين؟ وما سماته؟

8- ما السمات الحضارية للدولة التي تستحق التمكين؟.

أهداف الدراسة:

يمكن حصر أهداف الدراسة في الآتي:

1- تحديد مفهوم التمكين, والتفريق بين التمكين الفردي والتمكين الجماعي.

2- معرفة مرحلة البلاغ والتعريف,وإبراز أهم سماتها.

3- معرفة مرحلة المشاركة والتأليف, وإبراز أهم سماتها.

4- تحديد مرحلة التمكن التام وإقامة الدولة, وإبراز أهم سماتها.

5- معرفة عناصر التمكين الكامل وإقامة الدولة.

6- معرفة سمات إنسان التمكين القائد والجندي.

7- معرفة منهاج التمكين وسماته.

8- إدراك السمات الحضارية لدولة التمكين.

خامسا حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على بيان مراحل التمكين, مرحلة البلاغ, ومرحلة المشاركة, ومرحلة إقامة الدولة, في ضوء حديث القرآن عن هذه المراحل, ورصد أبرز سماتها, كما تقتصر على نموذج واحد من كل مرحلة.

سادسا منـهج البحث وأداته:

استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي, وكانت أداته جمع الآيات ذات الصلة بالموضوع, وتحليلها, واستنباط ملامح كل مرحلة؛اعتمادا على ما كتبه علماء التفسير.

سابعا الدراسات السابقة:

عرض لقضية التمكين عدد من الدراسات والبحوث منها ما يلي:

1- المسلمون بين الأزمة والنهضة, من مطبوعات دار التوزيع والنشر الإسلامية, بدون تاريخ, للدكتور عبد الحي الفرماوي أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين جامعة الأزهر, والكتاب يقع في 279 صفحة من القاطع المتوسط, وعرض لقضية التمكين في فصل من فصوله من صـ 225 إلى صـ 248 ويغلب عليه الجانب الدعوي,وعرض لقضية التمكين من حيث التعريف, وصور التمكين, والمطلوب بعد التمكين, ولم يعرض لقضية المراحل, والوسائل, ونماذج التمكين إلا في حديث خاطف عن ذي القرنين وتفوقه العلمي, وعلى كل فقد أفدت من الكتاب في الزاوية التي عرض لها.

2- فقه النصر والتمكين: من منشورات مكتبة الصحابة، ومكتبة التابعين,ط أولى1422هـ 2001 مـ, للدكتور علي محمد الصلابي والكتاب من القاطع المتوسط وصفحاته 636 صفحة تناول قضية التمكين تناولا شاملا من حيث الشروط, والأسباب, والمراحل, والأهداف وجاء الحديث عن مراحل التمكين من صـ 379 إلى صـ 507, وتناول هذه المراحل تناولا دعويا عاما دون الوقوف على النماذج التي عرضها القرآن لهذه النماذج, والكتاب أقرب إلى فقه الدعوة على الرغم من أ نه دراسة جامعية, وقد أفدت من الكتاب بصفة عامة في أكثر من موضع.

3- التمكين الحضاري في المنظور القرآني دراسة معرفية(ابستمولوجية) :لعبد الله محمد الأمين النعيم, والكتاب دراسة جامعية, وهو من مطبوعات إسلام المعرفة ط أولى , 2004 هـ , ويقع في 342 صفحة, وقد عرض المؤلف فيه لمفاهيم التمكين, والحضارة, وأسباب التمكين, وأهدافه.

ثامنا: هيكل البحث:

اشتمل البحث على مقدمة, وثلاثة مباحث, وخاتمة.

المبحث الأول: مرحلة البلاغ والتعريف.

المبحث الثاني: مرحلة المشاركة والتأليف.

المبحث الثالث: مرحلة التمكن وإقامة الدولة.

الخاتمة: وشملت نتائج البحث والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

والله من وراء القصد

مصطلح الدراسة:

وقبل الحديث عن المراحل لابد من تحديد معنى التمكين,فنجد أن الكلمة دارت في كتب اللغة على النحو التالي:

الإقدار على التصرف, والثبات, والهيمنة.يقول الزمخشري في الأساس:(مكنته من الشيء وأمكنته منه فتمكن واستمكن, ويقول المصارع لصاحبه: مكِّنِّي من ظهرك و أمكنني الأمر فمعناه أمكنني من نفسه, وهو مكين عند السلطان,وهم مكناء عنده وقد مكن له عنده, وهو أمكن من غيره, وضبة مكون بيوض, وقد مكنت وأمكنت وأكل الأعرابي المكن قال:

وَمَكْنُ الْضِّبَابِ طَعَامُ الْعُرَيْبِ ... وَلاَ تَشْتَهِيهِ نُفُوسُ الْعَجَمْ([1])

([1])- البيت لأبي الهندي , انظر أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ,ط المكتبة التجارية-مصر, ط الرابعة, 1963مـ ت محمد محيي الدين عبد الحميد .

ويقول البدوي: أما والركن والباب إني لأحب مكن الضباب, وهذه مِكنة الضبة ومُكنة الضبة,ومكناتها, ومن المجاز :(أقروا الطير على مكناتها)([1]) استعيرت, من الضباب للطير ثم قيل: الناس على مكنا تهم:على مقارهم)([2]).

والملاحظ من كلام صاحب الأساس أن المادة تدل على الاستقرار, والثبات, سواء كان هذا الثبات حسيا كثبات الضبِّ على مكنته والطير على مكناتها, أو ثباتا معنويا كثبات الرجل في منزلته, وتمكنه من سلطانه, والظاهر كذلك أن الكلمة انتقلت من الاستعمال الحقيقي (مكن) ثبت في مكانه, واستقر فيه إلى المعنى المجازي (مكن) عند الناس أي صار مكينا, ذا مكانة وسلطان, ومنه قوله تعالى في حق يوسف عليه السلام : (إنك اليوم لدينا مكين أمين)([3]) ويقول الفيروزآبادي في بصائره:(المكان: الموضع, والجمع أمكنة وأماكن. والمكانة: المنزلة عند الملك, ومكن ككرم. وتمكن وهو مكين والجمع مكناء, ومكّنته من الشيء وأمكنته منه فتمكن واستمكن وأمكنني الأمر :معناه أمكنني من نفسه.)([4]) ويقول في القاموس المحيط عند تناوله لهذه المادة: (المَكِن, وككتف بيض الضبّة والجرادة, ونحوها مكِنت كسمع فهي مَكُون, وفي الحديث أقروا الطير على مكِنُاتها بكسر الكاف وضمها أي:بيضها, والمكانة التؤدة كالمكينة, والمنزلة عند الملك, ومكن ككرم وتمكن فهو مكين, والجمع مكناء ..ومكنته من الشيء وأمكنته منه فتمكن

واستمكن)([5]), والملاحظ من كلام الفيروزآبادي أن المادة تدل على الإ قدا ر على التصرف والهيمنة والاستقرار ومنه مكنة الضب ومكنة الطير.وقالوا(أمكن فلانا من الشيء أقدره عليه وجعله في قبضته, ومكن فلانا في الشيء تمكينا جعله متسلطا عليه يتصرف فيه وتنطلق يده فيه, والمكين المستقر الثابت في موضعه لاينزل, أو الذي يعظم أمره عند السلطان, ويرتفع قدره)([6]). ومكن مكانة فهو مكين,أي ثبت

([1]) -الحديث أخرجه أبو داود في السنن ج2 ص116,برقم2825, وقال الألباني صحيح, وأخرجه أحمد في مسنده ج6 ص 381 وقال شعيب الأرناؤوط حديث صحيح, وابن حبان في صحيحه ج13 ص 495.

([2]) أساس البلاغة ج2 ص 396 مادة (م ك ن)

([3]) يوسف 54 .

([4])- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج4 ص 516 مادة (م ك ن) ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية1421هـ 200مـ

([5]) - القاموس المحيط ج4 ص 267 مادة م ك ن.

([6]) - الموسوعة القرآنية الميسرة ج3 ص322 ط مؤسسة سجل العرب 1394 هـ, 1974 مـ إبراهيم الإبياري.

واستقر فهو ثابت ومستقر, وقوله تعالى: (ثم جعلناه في قرار مكين)([1]) أي ثابت محفوظ يحفظ فيه وهو الرحم, ومكّن له في الشيء جعل له عليه سلطانا وقدرة قال تعالى: (إنا مكنا له في الأرض)([2]), ومكن الشيء ثبته, قال تعالى: (أولم نمكن لهم حرما آمنا)([3]) أي: حرما ثابت الحرمة محفوظ المكانة, وأمكنه من عدوه نصره عليه وحكّمه فيه قال تعالى: (فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم)([4])([5]) وعلى ذلك فالتمكين لدين الله في الأرض هو :(هيمنة منهاج الله على ما عداه من المناهج في الأرض والقدرة التامة لعباد الله على التصرف في أرض الله حسب منهاجه حسا ومعنى بأن تصطبغ الحياة بصبغة الإسلام كما أراد الله)

المبحث الأول

مرحلة البلاغ والتعريف :

هذه المرحلة هي أولى مراحل التمكين, وأسبق أطواره ,وفيها يتم عرض رسالة الله – ﷻ– بصور متعددة حفل القرآن الكريم برصدها والحديث عنها وعندما يؤدي هؤلاء الدعاة واجبهم, ويبلِّغون رسالتهم وتصل إلى أسماع الناس كلمتهم ,واضحة من غير غبش, بنية من غير لبس, قوية دون ضعف, حتى يترك الناس ليحكموا على هذا

[1] - المؤمنون 13 .
[2] الكهف من الآية 84.
[3] الحج 41 .
[4] الأنفال 71 .
[5] انظر في ذلك القاموس القويم للقرآن الكريم مادة (م ك ن) ص 232 ط مجمع البحوث الإسلامية إبراهيم عبد الفتاح.

الذي سمعوه, يقولون فيه كلمتهم, ويظهرون فيه رأيهم, ساعتها يكون هؤلاء الدعاة أعذروا إلى غيرهم, وأرشدوهم, وتلك صورة من صور التمكين, ومرحلة من مراحله, وعندما يصل الدعاة إلى هذه المرحلة التي تصل فيها كلمتهم إلى الناس, فقد وصلوا إلى مرحلة من مراحل التمكين لفكرتهم، وهذه الصورة تجدها في نماذج متعددة حفل القرآن بالحديث عنها نختار منها نموذجين:

النموذج الأول: دعاة أصحاب القرية.

ودعاة أصحاب القرية نموذج من نماذج البلاغ المبين, والدعوة الواضحة,وتمكن هؤلاء من إبلاغ رسالتهم, وتوضيح فكرتهم هو مرحلة من مراحل التمكين ,وهو في الوقت نفسه صورة من صوره ولون من ألوانه , وبلغ هؤلاء المرسلون, وبلَّغ مؤمن آل يس رسالتهم إلى قومهم بلاغاً مبيناً, وأدوا لهم دعواتهم أداءً واضحاً,لا لبس فيه ولا غبش, وسنرى ملامح هذا البلاغ, ومعالم هذه المرحلة من مراحل التمكين في النقاط التالية:

القرية والمرسلون:

أما القرية فهي قرية (أنطاكية) من بلاد الشام, وقد ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل العلم في هؤلاء المرسلين بقوله: (اختلف أهل العلم في هؤلاء المرسلين, وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية ، فقال بعضهم كانوا رسل عيسى ابن مريم وعيسى الذي أرسلهم إليهم ، وهو قول قتادة . وعن ابن عباس,وكعب الأحبار, ووهب ابن منبه أنه كان بمدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يقال له (أبطيحس) يعبد الأصنام صاحب شرك فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة صادق ومصدق وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذّبوهما ، ثم عزّز الله بثالث

فلما دعته الرسل, ونادته بأمر الله ، وصدعت بالذي أمرت به وعابت دينه وما هم عليه قال لهم:(إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم)([1]),

ولا نتوقف كثيراً عند بيان مكان القرية وهل كان المرسلون من قبل الله–ﷻ – أومن الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام ؛لأن ذلك لو كان يترتب عليه فائدة لما أغفلها القرآن الكريم, وإنما نتوقف عند بلاغ هؤلاء المرسلين, وهو الغرض الأساس من سوق هذا النموذج من نماذج التمكين في الأرض, وموقف أهل القرية من هذا البلاغ المبين .

إن هؤلاء المرسلين الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية بدا إبلاغهم لهم واضحاً في ملامح متعددة منها :

الملمح الأول:

في أن الله عز وجل ضرب بهم المثل بل أمر رسوله ﷺ أن يضرب مثلهم لأهل مكة عظة لهم واعتبارا, والمثل لا يضرب إلا في الشيء الذي بلغ الغاية في بابه, وأصبح مشهوراً شهرة واضحة؛ لذلك عاب النقاد قول الشاعر:

فألفيت الأمانة لم تخنها	كذلك كان نوح لا يخون([2])

وقالوا: إن نوحاً عليه السلام شأنه شأن باقي المرسلين في حفظ الأمانة وأدائها,فلم يضرب المثل به خاصة ؟ فضرب المثل بالقرية وأصحابها ودعاتها يشير إلى أنهم بلّغوا البلاغ الواضح الذي يترتب عليه الإنذار بالعقوبة , وقد كان ,فقد عاجلهم الله ﷻ بالعقوبة بعد أن وضحت لهم الحجة ,وبانت لهم المحجة وما أنزل الله ﷻعليهم جنداً من السماء لأنهم أقل من ذلك بل:(إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون)([3])

---

[1] -جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج22 ص ,100 وانظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل, ج,4 ص4 بتصرف يسير, ط دار الفكر بدون, لأبي البركات عبد الله النسفي, ومعالم التنزيل, ج 7,ص ,10 وما بعدها ط دار طيبة ط 3 1416 هـ 1995 مـ

[2] -البيت للنابغة , انظر الأغاني, لأبي الفرج الأصفهاني, ج,11 ص ,26 ط دار الفكر بيروت, ط الثانية

[3]- يس 29 .

الملمح الثاني:

في حوار أهل القرية لهؤلاء المرسلين الحوار الذي يدل على تمكن البلاغ منهم وفهمهم لهؤلاء المرسلين, إلا أنهم مضوا على سنن السابقين من المعاندين المنكرين أن يكون الرسل من البشر فقالوا: (ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون)([1]).

وتلك الدعوة التي قالها أهل القرية هي عين مقولة المعاندين قبلهم وبعدهم في كل زمان ومكان, (وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة كما أخبر الله – تعالى – عنهم في قوله – ﷻ– (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا واستغنى الله والله غني حميد)([2]).

أي: استعجبوا من ذلك وأنكروه. وقوله تعالى :(قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين)([3]) وقوله تعالى حكاية عنهم: (ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون)([4]) وقوله تعالى: (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً) ([5]), ولهذا قال هؤلاء: (ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون ([6]).أي : أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم, ولو كنا كذبنا عليه لانتقم منا أشد انتقام, ولكنه سيعزُّنا وينصرُنا عليكم, وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار, كقوله تعالى: (فل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السماوات وما في الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون)([7]) (وما علينا إلا البلاغ المبين)([8]).يقولون: (إنما علينا أن نبلغكم ما ما أرسلنا به إليكم فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة وإن لم تجيبوا

---

[1] يس 15 .
[2] - التغابن 6 .
[3] - إبراهيم 10 .
[4] - المؤمنون
[5] الإسراء
[6] - يس 16 .
[7] - العنكبوت 52 .
[8] -يس 17 .

فستعلمون مغبة ذلك)([1]).وفي هذا التصريح الواضح بأن عليهم البلاغ المبين تأكيد على رسالتهم ومهمتهم معهم وصوغ العبارة بهذه الصورة الحاصرة القاصرة يدل على أنهم ليس عليهم إلا البلاغ وقد وصفوا هذا البلاغ بأنه مبين – وقد كان , فقد أرشدوا أهل القرية بما لا يزاد عليه, فقد كذب أهل القرية الرسولين فقُوِيَ هذان الرسولان ونصرا بثالث حتى يكون أحسم للرد وأدعى للقبول, وذلك ما في قوله تعالى: (فعزّزنا بثالث) بالتشديد وهي قراءة الجمهور وقرأ شعبة عن عاصم (فعزَزنا بثالث) بالتخفيف, ولكل دلالة ,فقراءة الجمهور تدل على التعزيز(والتعزيز التقوية ,وفي هذه المادة جعل معنى المقوّى عزيزاً فالأحسن أن التعزيز هو النصر .وقراءة شعبة عن عاصم (من عزَّهَ يعزُّهٌ إذا غلبه أي: فغلبنا وقهرنا بثالث)([2]) واذكر أن من معاني التمكين – النصر والغلب وقد نصر الله هؤلاء إن لم يكن نصراً حسياً يراه الناس في حياة أهل هذه القرية فهو نصر معنوي بثباتهم على مبدئهم وبلاغهم رسالتهم كاملة واضحة لا نقص فيها ولا غموض ولا لبس فيها ولا التواء .

الملمح الثالث:

في ثبات هؤلاء المرسلين على مبدئهم حتى النهاية, وشجاعتهم وهم يرون الموت أمام أعينهم عندما قال لهم أصحاب القرية: (إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم .قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون)([3]) أي من أجل أنا ذكَّرناكم, وأمرناكم بتوحيد الله, وإخلاص العبادة له

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 544 .,545 .

[2] - التحرير والتنوير ج 22 ص 360 , وقراءة شعبة بالتخفيف انظر جامع البيان ج22 ص100, وتفسير النسفي النسفي ج4 ص 5 ,ومعناه غلبنا وهو مطاوع عازني فعززته أي غالبني فغلبته , ومعناه بالتشديد قوينا . قال أبو عبيد وهذا أشبه بالمعنى , انظر إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ت 590 هـ ت إبراهيم عوض ج 4 ص 658 ,وقد قال الإمام الشا طبي :
................**وخفف فعزّزنا لشعبةِ محمَلا** . حرز الأماني ووجه التهاني ص 79 ط دار الهدى ط الثالثة 1417 هـ ت محمد تميم الزغبي .

[3] -يس 18 ,19 .

قابلتمونا بهذا الكلام, وتوعدتمونا, وتهددتمونا, بل أنتم قوم مسرفون)([1]).ففي صبر هؤلاء المرسلين على هذا التهديد الرهيب والوعيد الشديد دلالة على نصرهم وتمكينهم؛ فإن الثبات على المبدأ والحياة في سبيله والفناء من أجله هو عين البقاء.وفيه أيضا دلالة عظيمة على أن ثبات الدعاة على الحق ودفاعهم عنه على الرغم من التهديد والوعيد الذي يتعرضون له يوقظ الإيمان في قلوب المؤمنين فيسارعون إلى نصرتهم.

الملمح الرابع:

في إيمان هذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى؛ فإن ذلك مبني على ما أداه هؤلاء من نشر الدين في هذه المدينة, والدعوة إليه في قلبها وأطرافها ، وقد عبر القرآن عن هذا المؤمن بقوله تعالى:(رجل) وفي سر تنكيره فوائد منها :

(أولاً: أن يكون هذا تعظيماً لشأنه، أي رجل كامل في الرجولية.

ثانياً: أن يكون مفيداً لظهور الحق من جانب المرسلين، حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به ، فلا يقال إنهم تواطئوا)([2]) .

أضف إلى ذلك دلالة (أقصى المدينة)التي تؤكد أن الإيمان وصل إلى أطرافها ودلالة ذلك على ما بذله هؤلاء المرسلون. إن أقصى المدينة يبعد عن حكم سلطانها في أفكار الناس وآرائهم ولعل هذا سر من أسرار انتقال هؤلاء المرسلين بين أطراف القرية وقلبها (وفائدة ذكر أن هذا الرجل جاء من أقصى المدينة يسعى الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل (ربض) المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لأن قلب المدينة هو سكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد من الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها ؛ لتعلقهم بهم وخشيتهم بأسهم ,بخلاف سكان أطراف المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة الاكتراث بالآخرين ؛لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو وبهذا يظهر

---

[1] تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 545 .

[2]- انظر مفاتيح الغيب ج 13 ص55 ,56 .ط دار الفكر 1415 هـ 1995 مـ للإمام الرازي ت 604 هـ

وجه تقديم (من أقصى المدينة) على (رجل) للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة ، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف و لا يوجد في الوسط وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة)([1])
.

ففي إيمان هذا الرجل بهذه الصورة القوية الفاعلة المتحركة وتضحيته بنفسه في لحظات من أجل عقيدته, ودعوته دلالة باهرة وإشارة واضحة ظاهرة إلى بلاغ هؤلاء المرسلين وتمكنهم من أن يكون بلاغهم لأهل القرية هو(البلاغ المبين).

النموذج الثاني: مؤمن آل يس وقضية البلاغ المبين:

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون إني إذاً لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)([2]).

ولا نقف هنا عند شخص هذا الداعية وصفاته ,ولا شكله وسماته ,وإنما نتأمل موقفه الذي يمثل النموذج الحي في البلاغ المبين ,والذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب – بحق– وهو نموذج للاستجابة الصادقة (استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة، فيها الصدق، والبساطة،والحرارة، واستقامة الإدراك ،وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى ما فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه ،وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره, فلم يطق عليها سكوتاً ، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله ,والجحود والفجور, ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره, وتحرك في شعوره. سعى به إلى قومه وهم يكذبون ، ويجحدون ويتوعدون ويهددون ، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق

[1] - التحرير والتنوير ج22 ص 365, 365 .
[2] -يس 20-25 .

وفي نهيهم عن البغي وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين، وظاهر أن الرجل لم يكن ذا جاه أو سلطان ولم يكن في عزة من قومه أو منعة في عشيرته ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها)([1]).

ونواصل هنا ملامح البلاغ وحسن العرض في هذا البلاغ مع هذا النموذج الطيب, والرجل الصالح مؤمن آل يس. فقد حفل موقفه هذا بعدد من القيم الرائدة في مجال البلاغ ، وأصبح نموذجاً يحتذ ى به في نشر الدعوة ,وأداء الأمانة, وتبليغ الرسالة؛ لأنه ما ادخر جهداً في هذا (البلاغ المبين) الذي تعلمه من هؤلاء المرسلين الطيبين الصادقين, وبلاغه هذا الواقع الذي ظل في سمع الزمان مدى الأيام فسجله القرآن مثلاً يضرب به في هذه المرحلة من مراحل التمكين؛ عظة للمتعظين, وعبرة للمعتبرين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ونقف هنا وقفات سريعة, مع ملامح هذا البلاغ المبين, والأداء الواضح الأمين, كما يلي :

الملمح الأول:

في كونه أتى من أقصى المدينة وسكناه في أقصى المدينة لم يمنعه من الاتصال بما يجري فيها من أحداث تخص الدعوة التي يدعو إليها, وتمس العقيدة التي يؤمن بها؛ لذلك عندما سمع ما توعد به أصحاب القرية هؤلاء المرسلين جاْء (يسعى) وتلك طبيعة رجل التمكين قلبه وعقله في دعوته وعقيدته ,وعمله وسكونه في سبيلها، وحركاته وسكناته من أجلها. إن فكر ففي حسن عرضها على الناس ,وإن تكلم ففي إظهار حقيتها وبيان وجوب ا تباعها ,وإن نام نام يحمل همها لذلك دلت الآية الكريمة على حرصه الصادق وعمله الدؤوب على عرض عقيدته هذه على أصحاب القرية وقدمها لهم على أفضل وجه، وعرضها في أبهى صورة كما سيتضح من باقي الملامح في بلاغه المبين وعرضه الواضح الأمين.

---

[1]- الظلال ج 6 ص 2962,2963.

الملمح الثاني:

في وصف القرآن له بأنه (رجلٌ). وهذا يدل كما تقدم في كلام الإمام الرازي على أنه رجل– بحق كامل الرجولية, والرجولة ليست جنساً بل هي صفة وموقف, ولا موقف أخطر من هذا الموقف الذي يرى فيه المرء مصيره المحتوم, وقدره المقدور موقوفاً على كلمة يتفوه بها ومع كل هذا يجأر بكلمة الإيمان, وعقيدة الإيمان, ودعوة الإيمان,وكأنه يتمثل قول القائل :

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً   إنّ الحياة عقيدة وجهاد

(إن خطوة ذلك المؤمن تعد موقفاً إيمانياً عظيماً ، وتدل على أن الحياة مواقف ، وأن الرجال بمواقفهم لا بأعمارهم ، لقد آمن في وقت المحنة والشدة والابتلاء واتبع المرسلين وهم مستضعفون، وتحدى بذلك القوة المادية الغاشمة ، وأعلن عن إيمان وطلب أن يسمعوه، مع أنه يرى الخطر أمامه، ويتوقع أن يناله الأذى والمكروه وقد يؤدي موقفه إلى إزهاق روحه ومع ذلك آمن وأعلن إيمانه واستعد لتحمل نتيجة موقفه([1]).

الملمح الثالث :

في وصف القرآن له بأنه: [يسعى], والسعي كما هو معروف غير المشي.إن الرجل سعى إلى نصرة عقيدته, بقدمه كما سعى لها بقلبه وحرارة منطقه ,وصدق لهجته, سعى بنصر هذه العقيدة التي أوشك أصحاب القرية أن يئدوها في مهدها ويحرموا الناس من خيرها, (سعى) بكل ما تحمله كلمة

[1] - مع قصص السابقين 256/7,ط دار القلم, ط أولى, 1409ه/1989 م ,صلاح عبد الفتاح الخالدي, وانظر فقه النصر والتمكين ص31, ط أولى 1422ه/2000م,د. على محمد الصلابي.

(السعي) من عزم في المضي,وتصميم في الإرادة يقول الإمام الرازي – رحمه الله – [وفي قوله تعالى – (يسعى) تبصير للمؤمنين وهداية لهم ، ليكونوا في النصح باذلين جهدهم ، ساعين له ، مقتد ين بالرجل الذي جاء يسعى]([1])

الملمح الرابع:

في قوله لهم [يا قوم] وهو معنى لطيف. يشير إلى إشفاقه عليهم، وإضافتهم إليه دليلاً على أنه لا يريد بهم إلا خيراً ، وافتتاح خطابه إياهم ببدئهم بوصف القومية له قصد منه أن في كلامه الإيحاء إلى أن ما سيخاطبهم به هو محض نصيحة لأنه يحب لقومه ما يحب لنفسه([2]) .

ولا يخفى ما لهذا النداء من حسن التحبب إلى المدعوين, وإظهار حرارة عاطفته لهم؛ فإنه لو كذب الناس ما كذب قومه، ولو خدع الناس ما خدع قومه, فهم أولى بنصحه, وأجدر بما وصل إليه من وعي وعلم لذلك تكررت هذه الكلمة في أقوال الأنبياء والمرسلين والمطالع لسورة الشعراء يجد تكرار هذا النداء القريب إلى نفس المدعو وقلبه أيما قرب.

الملمح الخامس:

في قوله تعالى: (اتبعوا المرسلين) وهي دعوة منه إلى إتباع المرسلين ولم يقل اتبعوني كما قال مؤمن آل فرعون في سورة غافر لذلك؛ لأنه جاء من أقصى المدينة لم يكن منهم ولا بينهم، فدعا إلى إتباع المرسلين الذين أظهروا لهم الدليل ، وأوضحوا لهم السبيل (وقد جمع في كلامه ذلك بين إظهار النصيحة في قوله (اتبعوا) وإظهار الإيمان في قوله (المرسلين)وقدم النصيحة على الإيمان؛ لكونه أبلغ في النصح)([3]) .

الملمح السادس:

[1] - مفاتيح الغيب, ج 13, صـ ط دار الفكر 1415 هـ 1995مـ , وانظر التحرير والتنوير ج 12 ص 366.
[2] - انظر مفاتيح الغيب ج13 ص 56, والتحرير والتنوير ج22 ص 366.
[3] - مفاتيح الغيب ج13 ص 56 .

في قوله تعالى على لسانه الرجل:(اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون).
وهذا من حسن بلاغ الرجل المؤمن, فقد قدَّم وصفهم بأنهم لا يسألون الناس أجراً على وصفهم بالاهتداء, مع أن الترتيب في غير القرآن أن يقدم وصفهم بالاهتداء لأنه أولى وأخطر من الوصف الآخر, ولكن هذا الداعية لمح من خلال دراسة واقع أهل القرية هؤلاء أنهم كانوا يشكون في أن دعوتهم هذه رجاء أجر فسارع إلى نفي ذلك عنهم .

[إن هؤلاء القوم لما غلب عليهم التعلق بحب المال وصاروا بعداء عن إدراك المقاصد السامية كانوا يعدون كل سعي يلوح على امرئ إنما يسعى به إلى نفعه فقدم ما يزيل عنهم هذه الاسترابة وليتهيؤا إلى التأمل فيما يدعونهم إليه ؛ ولأن هذا من قبيل التخلية بالنسبة للمرسلين والمرسل إليهم والتخلية تقدم على التحلية فكانت جملة [لا يسألكم أجراً] أهم في صلة الموصول .
وبعد ذلك تهيأ الموقع لجملة [وهم مهتدون] أي: وهم متصفون بالاهتداء إلى ما يأتي بالسعادة الأبدية ، وهم إنما يدعونكم إلى أن تسيروا سيرتهم, فإذا كانوا مهتدين فإن ما يدعونكم إليه من الاقتداء بهم دعوة إلى الهدى ، فتضمنت هذه الجملة بموقعها بعد التي قبلها ثناء على المرسلين وعلى ما يدعون إليه وترغيباً في متابعتهم]([1])

وفي ذلك من حسن عرض الدعوة وتقديمها في صورة جاذبة للمدعوين ما فيه, ولو فقه المسلمون اليوم الطرق الصحيحة في عرض دينهم على الناس لتغير وجه الحياة؛ (فإن الإسلام قضية رابحة؛ لكنها وقعت في أيدي محامين فاشلين).
وفي كلام مؤمن آل يس بهذه الصورة من العرض والبلاغ معنى حسن لطيف .
(ففيه استخدام لأحسن الأساليب في النقاش والجدال والإقناع حيث نزل فيه درجة لإقناعهم وكأنه يقول لهم: افترضوا أنهم ليسوا مرسلين ولا هداة، ولكنهم عاملون بالطريقة المستقيمة التي توصلهم إلى الحق، ثم هم لا يسألونكم أجراً ولا مالاً. وهذا الأمر يدعوكم إلى ا تباعهم والاستجابة لهم)([2]) .

---

[1] - انظر التحرير والتنوير ج22 ص 367 .
[2] - انظر مفاتيح الغيب ج 13 ص56 .

الملمح السابع:

في قوله تعالى على لسانه: [ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون] وفي هذا الخطاب من البلاغ المركز المقصود ما فيه من حسن العرض, وجودة الفكرة, وسلاسة البيان, وعمق التفهيم. فقد جمع في هذه الألفاظ القليلة بين قضية الفطر على الدين السوي، وقضية البعث والرجوع إلى الله ﷻ وأعطى من نفسه مثالاً يحتذ ى به في حسن التعامل, وتلمس جوانب القبول من المخاطب مع إشعار بشيء من الإلماح إلى التخويف من عقوبة هجران هؤلاء الرسل فضلاً عن صدهم وإيذائهم . نلمح ذلك من قوله (الذي فطرني) و (إليه ترجعون). كلمات يسيرة لكنها كلمات دالة ومعبرة عما يريد تماماً [لقد جمع بين عدم المانع من الإيمان في قوله :(ومالي لا أعبد) وبين قيام المقتضي الذي يدعوه إلى الإيمان في قوله :

(الذي فطرني) فالله الخالق مالك ومنعم, وعلى العبيد عبادته وشكره، وقدَّم عدم المانع من الإيمان على المقتضي الذي يدعوه للإيمان في قوله: (ومالي لا أعبد الذي فطرني) ولم يقل: الذي فطركم؛ لأنه هو الأهم المقصود من السياق، وقال فطرني ولم يقل فطركم لأنه يتحدث عن نفسه، ولتناسقه مع قوله:(ومالي لا أعبد) حيث أسند العبادة إلى نفسه فتناسب أن يسند الخلق إلى نفسه]([1])

الملمح الثامن:

في قوله: [وإليه ترجعون], وفي صياغته خطابه بهذه الصورة وإشارته إلى معنى الخوف والرجاء في عبادة الله تعالى, فمن يكون إليه المرجع والمآب، يُخاف منه وُيرجى، ومن اللطائف أنه صاغها بهذه الطريقة التفاتاً ليبين لهم الفرق بينه وبينهم من الرجوع إلى الله ، فرجوعه هو إلى الله ليس كرجوعهم هم، رجوعه هو إلى الله رجوع العابد المؤمن إلى الله, ولهذا رجوعه للإكرام والإنعام، أما رجوعهم هم فهو

---

[1] - مفاتيح الغيب ج 13 ص 57 .

رجوع الكافر العاصي، ليحاسب ويعاقب ويعذب فرجوعهم للعذاب و الإهانة وشتان بين الرجوعين.([1])

ومن لطائف الإمام البغوي في ذلك قوله: (أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم ؛لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق)([2]) .

وفي ذلك من حسن العرض, ولطف البيان, والتسلل إلى النفوس الواعية ما فيه والداعية مطالب مع البلاغ(بحُسن البلاغ), ومراعاة نفوس المخاطبين, والنظر العميق إلى أحوالهم ,فليس كل ما يعرف يقال, ولا كل ما يقال جاء وقته وزمانه, وفي الكلام إشارة مهذبة إلى حاله وحالهم دون دخول في إيذائهم أو التعنيف عليهم

(وهذا الخبر مستعمل في التعريض بهم كأنه يقول: ومالي لا أعبد وما لكم لا تعبدون؟ الذي فطركم بقرينة قوله: (وإليه ترجعون) إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقوية لمعنى التعرض وإنما ابتدأه بإسناد الخبر إلى نفسه لإبرازه في معرض المنا صحة لنفسه وهو مريد منا صحتهم ليتلطف بهم ويداريهم فيسمعهم الحق على وجه لا يثير غضبهم ويكون أعون على قبولهم إياه حين يرون أنه لا يريد لهم ما يريد لنفسه)([3]) .

فانظر إلى عمق نظره, وجودة عرضه من خلال هذه الكلمات اليسيرة في هذا الزمن اليسير الذي لا يتحمل خطباً مطولة, ولا محاضرات محبرة كيف راعى المقام, وراعى حال المخاطبين, وراعى اختيار القضية التي يعرضها, وكيف أحسن عرضها, وقدمها بصورة مركزة تركيز الظرف الذي يحياه وهو مقدم على قدره, مقبل على نهايته الدنيوية, وكأن الدعاة يتمثلون هذا النموذج الطيِّب, وهذا الرجل الصالح الذي استحق– بجدارة أن يكون مثلاً يضربه القرآن في حسن البلاغ, وحسن العرض, وأداء الأمانة, وتبليغ الرسالة, وتتوالى اللمحات والمعالم الأصيلة في مرحلة البلاغ من خلال هذا المثال الذي ضربه القرآن الكريم أسوة للمؤتسين, وقدوة للمقتدين على طريق الدعوة الإسلامية.

---

[1] - السابق ج13 ص57 ,58 بتصرف .
[2] -معالم التنزيل ج7 ص 14 .
[3] - التحرير والتنوير ج22 ص 368 .

الملح التاسع:

في قوله تعالى على لسانه: (ء أ تخذ من دونه آلهة) وفيها إشارة إلى عدد من المعاني القيّمة في هذا الوقت الوجيز.

الأول تأكيد لمعنى الإيمان بعد أن أكد وجود الله تعالى في قوله: (ومالي لا أعبد الذي فطرني), يؤكد وحدانية الله تعالى في قوله: (ء أ تخذ من دونه آلهة) ولم يقل أتتخذون مع أن الواقع أنهم هم الذين اتخذوا من دون الله آلهة, وهو لم يتخذ من دون الله آلهة ولكن جريا على حسن الأدب, ورفعة الذوق الذي بدأه في الحديث معهم أنه يتهم نفسه، ولا يتهمهم، ويمثل المعنى على شخصه, دون أن يسمهم به, وفي ذلك من الفقه الدعوي وفطنة البلاغ ما فيه, فكما حرص على إثبات نصيحته لهم بقوله: (يا قوم) وكما حرص على نفي الشبهة عن المرسلين بقوله: (من لا يسألكم أجراً) وذلك أدخل على نفوس المدعوين، وكما أعطى المثال على نفسه بقوله: (مالي لا أعبد) يستمر في درسه العملي للدعاة بقوله: (أأتخذ من دونه آلهة) وهذا شبيه بقول المرسلين في سورة سبأ: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)([1])

وشبيه بقول يوسف عليه السلام : (أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)([2])

على الرغم من علم يوسف – عليه السلام –من خلال تعبيره للرؤيا– مَن منهما سيكون في صحبة الملك ومَن سيكون في صحبة (ملك الموت) ؛ إلا أنه الذكاء الدعوي, والفقه في البلاغ, والفطنة التي يتحسس بها الداعية الزمان, والمكان, والأفراد, والمقام ,والأحوال, فهل وعى دعاة الإسلام هذا الدرس, وهل عرضوا إسلامهم في هذا العصر العرض اللائق به؛ (فإنه بضاعة رائجة لو كان لها رجال).

[والاستفهام هنا إنكاري كما هو واضح – أي أنكر على نفسي أن أتخذ من دون الله آلهة وذلك من تمام التعريض بالمخاطبين أنهم جعلوا الأوثان آلهة وليست بآلهة؛ لأن الإله الحق لا يجعل جعلاً ولكنه مستحق الإلهية بالذات، ووصف الآلهة المزعومة بقوله:(إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) تعريض

---

[1] - سبأ :24.
[2] -يوسف: 41.

بالمخاطبين في اتخاذهم تلك الآلهة بعلة أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى،وقد علم من انتفاء دفعهم الضر أنهم عاجزون عن جلب نفع لأن دواعي دفع الضر عن المولى أقوى وأهم ولحاق العار بالولي في عجزه عنه أشد)([1])

الملمح العاشر:

من خلال قوله :(إن يردن الرحمن بضر), وفيها تبدو روعة اختياره في القواسم المشتركة, والقضايا المسلمة من الطرفين وهذه من فطنة الداعية أن يبدأ بمساحات الاتفاق فيقرب ولا يبعد, ويؤلف بين الثوابت بين الطرفين, ويبدو ذلك من خلال اختياره للفظ (الرحمن) دون اسم الجلالة مثلاً؛ لأن هذا الاسم كان معروفاً عند أهل القرية [فاختيار وصف الرحمن في حكاية قول الكفرة؛ لكونه صالحاً لعقيدة الفريقين لأن اليونان لا يعرفون اسم الله, ورب الأرباب عندهم هو: (زوفيس) وهو مصدر الرحمة في اعتقادهم، واليهود كانوا يتجنبون النطق باسم الله الذي هو في لغتهم (يهوه) فيصفونه بالصفات)([2]) فانظر إلى هذا الوعي بكل مجريات الدعوة، وأساليب عرضها, وبيان جوانب الاتفاق مع المدعو قبل جوانب الخلاف في كل جانب من جوانبها (الزمان

– المكان – الأفراد – القضايا – الوسائل – الأساليب – طريقة العرض – البدء بالمتفق عليه قبل المختلف فيه .. إلى غير ذلك) من الملامح الثرية التي تحتاج إلى دراسة وتدريس هذا النموذج القرآني واستلهام القيم التي يحويها هذا النص الكريم.ولعلك تلحظ هذا الفهم العميق لحقيقة الدعوة وأبعاد الإيمان والتوحيد, وهي أهم جوانب الدعوة, وهنا ركز على الجوانب الأساسية(الأصول) من غير تطرق إلى (الفرعيات), وبدت قدرته الفائقة في الحوار حول دعوته والدفاع عنها, مما يوجب على الدعاة فهم دعوتهم فهما عميقا, يمكنهم من عرضها عرضا يليق بمكانتها, وأن يركزوا في عرضها على الأصول دون الخوض في الفرعيات.

الملمح الحادي عشر:

[1] -انظر التحرير والتنوير ج22 ص 368 .
[2] -التحرير والتنوير ج22 ص 361 .

في قوله: (إني إذاً لفي ضلال مبين) وفيها استمرار لهذا التعامل الراقي من ذلك النموذج الصالح مؤمن آل يس في تعامله مع أصحاب القرية, فإنه لم يقل لهم: إنكم إذاً لفي ضلال مبين مع أن الواقع كذلك أنهم هم الذين في ضلال مبين, وهو بإيمانه ارتفع عن هذا الضلال, إلا أنه يحاول أن يلطف بهم في التعامل ,ويرفق بهم في الوعظ والنصيحة, فيصوغها لهم بهذه الطريقة التي بدت في قوله: ("إني آمنت بربكم فاسمعون), وقد يكون هذا الخطاب للمرسلين, وقد يكون لأصحاب القرية, وفي قوله: (فاسمعون " ما يدل على أنه كان متروياً مفكراً؛ فإن المتكلم إذا كان يعلم أن لكلامه جماعة سامعين فإنه يتفكر فيه, كما أنه يقصد أن يسمعهم ليقيم عليهم الحجة، والمراد بالسماع ليس مجرد سماع الصوت, بل قبول الدعوة، و الاستجابة لصوت الحق والدخول في الإيمان)([1]) .] وجملة (إني آمنت بربكم فاسمعون) واقعة موقع الغاية من الخطاب والنتيجة من الدليل وهذا إعلان لإيمانه وتسجيل عليهم بأن الله هو ربهم لا هذه الأصنام وأكد الإعلان بتفريع:

(فاسمعون)؛ استدعاء لتحقيق إسماعهم إن كانوا في غفلة]([2]) .

وتلك بعض اللمحات التي تتوجب على الدعاة والساعين إلى التمكين أن يعيشوها ويتدارسوها حتى يعوا دروسها وفهمها لينطلقوا من خلالها إلى الغاية التي يبغونها والهدف الذي يرتجون .

وقد ختمت حياة هذا الداعية الدربة خير ختام يرجوه مؤمن لنفسه فقد قال الله– تعالى– فيه فور نهاية كلامه :(قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين), واترك لنفسك أن تعيش وتحلق في ظلال هذه الآية الكريمة كما تشاء من عدم ذكر القائل؛ لأنه لا قائل يملك أن يقول هذا الكلام غيره وهو الملك الذي بيده خزائن السماوات والأرض ونلحظ هنا أنه لم يأت ذكر لما تعرض له من العذاب الذي وصل إلى مرحلة القتل كأن الله – تعالى– يريد أن يخبرنا بضآلة هذا العذاب المؤقت في جنب ذلك النعيم المقيم الذي فاز به, ومن أروع مواقف هذا الداعية والتي ستظل درساً للدعاة في سلامة الصدر وتمني الخير للغير أبد الدهر قوله :

---

[1] - مفاتيح الغيب ج31 ص 61 بتصرف .

[2] -التحرير والتنوير ج22 ص 369.

(يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) بعد كل الذي لاقاه منهم من أذى وضر بعد أن صاح فيهم صيحة النذير العريان (فاسمعون) ولم يكن جزاؤه منهم إلا جزاء سنمار؛ فإنه لما عاين ما عاين من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول تمنى أن يعلم قومه مكانته حتى يسيروا سيرته, ويقولوا قولته ويمضوا على طريقه حتى يصلوا إلى ما وصل إليه .

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتبُ	ولا ينال العلا من طبعه الغضبُ

إن هذه الشخصية الفريدة في بلاغها, وبيانها, وحسن عرضها, لتحتاج إلى وقفاتَ يفيدها الداعون خاصة, والمسلمون عامة, حتى يعوا تلك المرحلة من مراحل التمكين.

المبحث الثاني
مرحلة المشاركة والتأليف

المشاركة للمجتمعات الحاضرة بغرض الإصلاح والتقويم والوصول إلى ذلك لون من ألوان التمكين, وصورة من صوره, وأبرز نموذج على ذلك مشاركة يوسف لملك مصر في الوزارة والحكم, ولا نتوقف كثيراً عند خلاف المختلفين في جواز تولى الوظائف العامة كالوزارة ونحوها في المجتمعات غير المسلمة, أو المجتمعات المسلمة التي تحكم بنظم جاهلية, وإنما نعيش مع نموذج حي واقعي, بكل ما تعنيه كلمة الواقعية من معنى, شارك في الحكم, وتولى الوزارة في دولة كافرة بل طلبها بنفسه فقال: ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾([1]) , لما علم من نفسه القدرة على تحمل ذلك العبء المبهظ الثقيل, في تلك الفترة الحرجة, (ولقد

[1] - يوسف 55 .

أخبر الله– تعالى– أن تسلم يوسف الوزارة كان رحمة ونعمة, و لم يكن عذابا ونقمة فقال: ﴿ اجعلني على خزآئن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾([1]), فالله تعالى يقرر أن تسلم يوسف للوزارة هو من باب التمكين له في الأرض, وأنه رحمة أصابه بها, وأنه أجر دنيوي عاجل وما ينتظره من الثواب الآجل أعظم وأكبر﴾ ([2]), ونحاول هنا أن نقف مع مشاركة يوسف في الحكم والوزارة من خلال النقاط التالية :

1– مشروعية طلب يوسف للوزارة.

2– أسباب طلب يوسف للمشاركة.

3– مؤهلاته لطلب المشاركة.

4– ثمرات مشاركة يوسف في الحكم.

أولا: مشروعية طلب يوسف للمشاركة في الحكم القائم :

نعلم أن يوسف عليه السلام أتى إلى أرض مصر, وعاش في قصر عزيزها, وكان من أمره مع امرأة العزيز ودخوله السجن ما كان مما جعل صيته يذيع, وأمره يشيع, ويعرف به الملك, ويطلب رأيه بل بتعبير القرآن يستخلصه لنفسه ، وذلك مبني على أسباب نعرفها عما قريب, وإنما نريد أن نعرف مشروعية طلب يوسف للحكم القائم الذي قال فيه بعد دخوله السجن: ﴿ إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾([3]), فعلى الرغم من أن الملك ساعتئذ كان ملك دولة لا تؤمن بالله وكان أهلها

---

[1] يوسف 55 ,56.

[2] - حكم المشاركة في الوزارة والمجالس النيابية, ط دار النفائس عمان الأردن, ط أولى 1992 م ص 29 -32 . د عمر سليمان الأشقر, وانظر فقه النصر د . علي الصلابي ص 99.

[3] يوسف 37, 38.

بـالآخرة كـافرين, مـع ذلـك طلـب المشـاركة بجعلـه علـى خـزائن الأرض, يقـول الإمـام الطبري: (وهذا من يوسف – صلوات الله وسلامه عليه – مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها , والقيام بأسباب بلده, ففعل ذلك الملك , فأسلم سلطانه كله إليه, وجعل القضـاء إليه ,أمره وقضـاؤه نافذ)([1]), وذلك راجع إلى علم يوسف ﷺ أن أحدا لا يقوم على هذه المملكة أقدر منه , وأحفظ ولا أعلم بشؤونها وأحكم , ولذلك طلب التولية .

وقد ذكر أهل العلم (أن في هذه الآية..(اجعلني على خزائن الأرض) .ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارضه فيه, فيصلح منه ما شاء, وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك. وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصة, وهذا اليوم غير جائز, والأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه والله أعلم.

قال الماوردي: فإن كان المولى ظالما فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين: **أحدهما** : جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده لأن يوسف ولي من قبل فرعون ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره .

الثاني : أنه لا يجوز ذلك؛ لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم, وتزكيتهم بتقلد أعمالهم فأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولاية يوسف من قبل فرعون بجوابين :

أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحا, إنما الطاغي كان فرعون موسى .

الثاني: أنه نظر في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعية فيه ([2]).

[1] جامع البيان عن تفسير آي القرآن جـ 13 صـ 5 ط دار الحديث .
[2] - الجامع لأحكام القرآن ج 9 ص 215 دار الكتاب العربي القاهرة ط الثالثة 1387 هـ 1967 هـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .

وقد استنبط الإمام البيضاوي من الآية الكريمة (جواز طلب التولية, وإظهار المرء أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به, وعن مجاهد أن الملك أسلم على يديه)([1]).

ويستنبط الإمام النسفي: (جواز أن يتولى الإنسان عمالة من يد سلطان جائر, وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة, وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به ،وقيل كان الملك يصدر عن رأيه, ولا يعترض عليه في كل ما رأى, وكان في حكم التابع له)([2])

والظاهر من هذه الأقوال التي وردت عن أئمة التفسير جواز المشاركة في الحكم القائم, وإن كان من يد ظالم أو فاسق أو جائر, إذا لم يتوصل إلى إقامة العدل إلا بهذا, بل قد يتوجب على الإنسان طلب التولية إذا لم يقم الحق, أو تستقم مصالح

العباد إلا بذلك كما ذكر الإمام الأ لوسي في تفسيره, وقد كان ذلك من الصدّيّق يوسف عليه السلام كما سنعرف من أسباب طلبه تولية الوزارة ومشاركته في الحكم .

ثانيا: أسباب طلب يوسف عليه السلام المشاركة في الحكم

وقد بان للملك قدرة يوسف علي إدارة الأزمة القادمة, وقدرته علي التخطيط الذي يحمي البلاد والعباد من جوع كاسر لايبقي ولا يذر, فطلب لقاء يوسف عليه السلام ولما رآه وأحب أن يسمع منه تعبير رؤياه, ووقع من قلبه موقعا, بدا ليوسف عليه السلام أن يطلب منه أن يوليه خزائن أرض مصر, فقال له ولني علي خزائن أرضك ؛(فإني (حفيظ): أمين أحفظ ما تستحفظنيه,(عليم): عالم بوجوه التصرف, وقد وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبه الملوك ممن يولونه, وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء حكم الله, وإقامة الحقٍ وبسط العدل والتمكين, مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد , ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك , فطلبه ابتغاء وجه الله لا

[1] ـ انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص327 ط دار الجيل بدون .وانظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي, ج 5, ص ,5 ط دار الكتب 1403 هـ 1983 مـ .
[2] ـ انظر تفسير النسفي ج 2 , ص277 وروح المعاني ج 5 ص 5 .

لحب الملك والدنيا)([1]), وقد يكون يوسف عليه السلام علم أنه يستعمله لا محالة فأراد أن يتولى ما يكون أقدر على النفع به, والإفادة منه للناس , وذلك ما ذهب إليه الإمام البيضاوي بقوله: (ولعله لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعمُّ فوائده, وتجلُّ عوائده)([2]) .

من هنا ندرك سر طلب يوسف عليه السلام المشاركة في هذا الحكم, لأنه أقدر الناس على إدارة هذه الأزمة القادمة وتكييف هذا الظرف الحرج الذي يهرب منه الناس؛ لأن البطون الجائعة قد تطيح برؤوس مسئوليها إذا تمكنت منهم ومع ذلك لما أنس يوسف من نفسه القدرة على العبور من هذا المأزق عرض نفسه على الملك , وأجيب إلى طلبه وكرامة, لقد أدرك يوسف أن الموقف القادم يحتاج إلى رجال لهم صفات خاصة وهو يملك هذه الصفات؛ لذلك وصف نفسه بما وصف, (والأزمة القادمة وسنو الرخاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصيانة والقدرة على إدارة الأمور, بدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها,وفي حاجة إلى الخبرة, وحسن التصرف, والعلم بكافة فروعة الضرورية لتلك المهمة التي يرى أنه أقدر عليها, وأن وراءها خيراً كثيراً لشعب مصر والشعوب المجاورة .

وعندما قال يوسف: (إني حفيظ عليم) لم يكن يطلب لشخصه, وهو يرى إقبال الملك عليه, فيطالب أن يجعله على خزائن الأرض...إنما كان حصيفا في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل, ذي التبعة الضخمة, في أشد أوقات الأزمة, وليكون مسئولا عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات لازرع فيها ولا ضرع, فليس هذا غنما يطلبه يوسف لنفسه؛ فإن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد: إنه غنيمة, إنما هي تبعة يهرب منها الرجال؛ لأنها قد تكلفهم رؤوسهم, والجوع كافر, وقد تمزق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر والجنون)([3]), من هنا ندرك أسباب طلب يوسف عليه السلام المشاركة في هذا الحكم القائم الذي وصفه قبلا بما وصفه ليمكنه

---

[1] انظر تفسير النسفي ج 2 ص 277 بتصرف يسير .

[2] تفسير البيضاوي ص 77 .

[3] - في ظلال القرآن ج 4 ص 2004 .

من خلال موقعه دعوة الملك ونشر دعوته بين الناس بعد تقديم النموذج العملي لهم من حرصه عليهم وأمانته وعلمه.

ثالثا : مؤهلات يوسف للمشاركة في الوزارة:

تحلى نبي الله يوسف عليه السلام بصفات جعلته من أقدر الناس إن لم يكن أقدرهم على إدارة هذه الأزمة الشديدة حتى خرج منها ومن حوله في عافية وأمان. ومن أبرز هذه الصفات: معرفته الشديدة الواعية التي تمثل جانب العلم, فقد خطط يوسف لتمر هذه الأزمة, فأخذ من سنوات السعة لسنوات الضيق, ومن أوقات الرخاء لأيام الشدة والبلاء, كما تحلى بصفة الحفظ سواء كان هذا الحفظ حفظا للخزائن التي تولّاها أم حفظا للحساب وطرق رعاية هذه الخزائن, ولذلك لم يصف نفسه عليه السلام بصفات اعتباطية في هذا المقام, بل وصف نفسه بالصفات التي تناسب إدارة هذه الأزمة والتغلب عليها, (فلم يقل إني حسيب كريم, وإن كان

كذلك, كما قال النبي ﷺ :" الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم " ولا قال إني جميل مليح وهو كذلك . إنما قال " إني حفيظ عليم " فسألها بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال)([1]) فلمؤهلات يوسف لهذه المشاركة جانبان, جانب يتعلق بالأخلاق, وهو الحفظ ممن لا يستحقه: (حفيظ), والأمانة في رده إلى مستحقيه, وجانب يتعلق بالمادة والعلم: (عليم) بكيفية حفظها والتصرف فيها. وكما سبق لا تقوم حضارة ولا يؤسس تمكين إلا على هذين الجانبين, جانب القيم وجانب المادة .

رابعا: ثمرات مشاركة يوسف في الحكم:

[1] انظر الجامع لأحكام القرآن ج10 ص 216 ط دار إحياء التراث العربي . والحديث أخرجه الترمذي في السنن ج 5 ص 293 وقال هذا حديث حسن . وحسنه الألباني وأخرجه أحمد في المسند ج 2 ص 96 وقال شعيب الأرناؤوط معلق مسند الإمام أحمد إسناده صحيح على شرط البخاري, رجاله ثقات رجال الشيخين, غير عبد الرحمن بن دينار فمن رجال البخاري .

وقد ترتب على مشاركة يوسف في الحكم وتولي هذه الوزارة منافع عدة, من أبرزها حفظ أرواح الناس في هذه البلاد وما جاورها من بلاد, حتى جاء إخوة يوسف من أرض الشام يمتارون منه, وذلك قوله تعالى: (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون)([1]), كما ترتب على يديه نشر الدين, ودعوته فأسلم على يديه الملك, وإذا كان الملك قد أسلم على يديه فإن الرعية كلها على دين مليكها, فالناس على دين ملوكهم. يقول الإمام الطبري – رحمه الله –:(إن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر الياقوت . فقال أما السرير فأشد به ملكك , وأما الخاتم فأدبر به أمرك, وأما التاج فليس من لباسي, ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك , وفوض الملك إليه أمره, وعزل قطفير, ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيرا مما وجدت؟ فوجدها عذراء فولدت له ولدين وأقام العدل

بمصر وأحبته الرجال والنساء, وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس)([2]), ولعل الحكمة من موقف يوسف مع أهل مصر في مسألة البيع والشراء إظهار قدرته وكرمه وانقيادهم بعد ذلك لأمره حتى يخلص إيمانهم ويتبعوه فيما يأمرهم به([3])

ويمكننا أن نستخلص الفوائد المترتبة على مشاركة يوسف ﷺ في الحكم القائم في النقاط التالية :

1- إظهار سنة من سنن الله ﷻ الجارية, وهي سنة التمكين بعد البلاء؛ فإن الناظر في حياة يوسف ﷺ يدرك أن كل حياته محن تعقبها منح, وبلاء يعقبه رخاء, وشدة يعقبها عطاء,(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)([4])؛ حتى يعي

---

[1] - يوسف 56 .
[2] - جامع البيان عن تفسير آي القرآن جـ 13 صـ 5 وانظر تفسير البيضاوي صـ318 , وإرشاد العقل السليم جـ4 صـ 287 .
[3] انظر روح المعاني جـ 5 صـ 6 .
[4] -يوسف من الآية 21.

الناس هذه السنة الثابتة, والقانون الماضي الذي لا يتخلف, وهو سنة الله في التمكين فبعد البلاء الذي تعرض له يوسف من فتنة الحب, وفتنة الجب , وفتنة الاسترقاق , وفتنة امرأة العزيز .... يمكّن له في رقاب الناس ويكون من كرمه معهم ما يكون .

2- إقامة شرع الله ﷻ وإظهار العدل في الناس من خلال سلطان يوسف؛ فإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن . ولم لا وقد ملك يوسف القوت فأصبح الناس يهفون إلى رضاه ويسعون إليه في مصر وغير مصر .

3- إظهار أن إدارة الأزمات لا تتوقف على جانب القيم فقط , بل يحتاج إلى جانب علمي ومهاري أيضا, من التفكير والتخطيط والإعداد, والأخذ بالأسباب , والنظر في المقدمات ليتوصل منها إلى النتائج .

4- إسلام الملك على يديه, كما ذكر ذلك مجاهد فيما تقدم من نصوص وإسلام الرعية على يديه, ولم يكتف يوسف بأن يسلموا, بل أظهر لهم من خلال حكمته وبراعته, وحسن سياسته,أن يدينوا لشرعه قولا وعملا, وقد رأوا فيه الكرم البالغ والحكمة النافذة .

5- إظهار أن طاعة الله جالبة لكل عز, وأن معصيته- ﷻ -جالبة لكل هوان وذل, وذلك واضح مفاد القصة كلها, ومن كلام امرأة العزيز بعدما أصابها ما أصابها, وقد عبَّرت هي نفسها عن ذلك بقولها: (سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعته, وجعل الملوك عبيدا بمعصيته)([1]) إلى غير ذلك من الفوائد التي يضيق المقام عن ذكرها .

---

[1] -الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 214 .

المبحث الثالث

تمام التمكين وإقامة الدولة

داود وسليمان نموذجا

مرحلة إقامة الدولة والأستاذية للبشرية هي المرحلة الأخيرة والكاملة من مراحل التمكين, وقد رصد القرآن نماذج متعددة للتمكين بهذه الصورة, منها تمكين النبي– ﷺ – وتمكين ذي القرنين, وتمكين داود وسليمان, وسنقتصر على نموذج واحد لهذه المرحلة وهو نموذج داود وسليمان؛ لأن ملامح التمكين في هذا النموذج غنيَّةٌ, والآيات التي تناولته زاخرة بمعالم القائد الممكن, والجنود, ونحو ذلك من أسس التمكين, على أن نعالج النماذج الأخرى في دراسة خاصة إن شاء الله.

والمتأمل لهذه المرحلة المتفكر فيها يجد أنها لا تتم إلا من خلال عناصر محددة ومقومات معينة وهذه المقومات هي :

الإنسان .

المنهاج .

الأرض .

وهذه العناصر الثلاثة هي مدار قيام أيِّ دولة ممكنة, وعلى قدر استمداد الأمة لهذه المقومات من مقومات التمكين والبقاء تبقى حضارتها وتستمر ,وتورق,وتثمر , وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها, وإذا اختلت مقومات التمكين التي رصدها القرآن بفقد عنصر من هذه العناصر أصبح التمكين غير كامل , وغير قادر على نشر رسالة الله, وتعبيد الناس له, وإقامة حكمه في الأرض. ومن خلال حديث القرآن عن هذا النموذج يمكننا أن نحصر الحديث عنها في نقاط محددة هي :

1- إنسان التمكين صفاته وأدواره .

2- مقومات التمكين أو المنهاج .

3- مظاهر التمكين والسمات الحضارية لدولة التمكين .

ونبادر إلى نصوص القرآن التي وردت فيها ملامح هذا النموذج الممكن نتملاها ونستلهم ما فيها قدر طاقتنا , وقد وردت هذه النصوص في خمس سور هي البقرةمن الآية:250-251, والأنبياء78-82, والنمل14-44, وسبأ10-14, وص17-40, وهذه النصوص هي :

أولاً: سورة البقرة, في قوله تعالى: وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) البقرة: ٢٥٠ – ٢٥١

ثانيا: سورة الأنبياء, في قوله تعالى: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ

الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (82) الأنبياء: ٧٨ – ٨٢

ثالثا: سورة النمل, في قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ

(33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل: ١٥ – ٤٤.

رابعا: سورة سبأ, في قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ

فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبأ: ١٠ – ١٤

خامسا في سورة ص في قوله تعالى: اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29) وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ

تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (40) ص: ١٧ – ٤٠. ونحاول هنا تلمس هذه المقومات والحديث عنها واحدا وا حدا على النحو التالي:

أولا الإنسان : لاشك أن الله– ﷻ– عندما خلق الإنسان جعله خليفته في أرضه, لإقامة شرعه حسب المنهاج الذي وضعه ﷻ له والإنسان الساعي إلى التمكين طراز فريد في السلوك والعلم, في التصور والخلق, في علاقته بالله وعلاقته بالإنسان له صفات وأدوار يمكننا أن نراها في الآتي :

1–في العلاقة بينه وبين الله :

القائد الذي يسعى إلى التمكين والناشد له ليس شخصا هملا, إنما هو شخص حسن الوعي للأشياء, حسن الإفادة منها, حسن العلاقة بينه وبين مانح التمكين وهو الله عز وجل؛ فإن الله – ﷻ – عندما ذكر التمكين في القرآن في ثماني عشرة مرة أضافه إلى نفسه :(مكنا, مكناكم, مكناهم, مكني, نمكن, وليمكنن)([1]) فلابد إذن من علاقة وثقى مع الله ﷻ فهو مصدر التمكين والمعين عليه , والأرض أرضه, والعبد عبده, والمنهاج منهاجه, والخلق كله خلقه, (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)([2]) وهذه العلاقة بين قائد التمكين وربه هي:

1– **العبودية المطلقة لله ﷻ:**

بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى لغة واصطلاحا, حركة وفكرا, وتصورا وعملا, في صغير الأمر وكبيره, وعظيمه وحقيره. وقد قال الله– ﷻ– في حق داود: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب)([3]), ونلمح هنا أمر الله لرسوله ﷺ بأن يأتسي برسوله داود, الموصوف بالعبودية الكاملة, والقوة في

---

[1] - المعجم المفهرس لألفاظ القلرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة(م ك ن).
[2] - الأعراف من الآية 54 .
[3] - ص: 17 .

طاعة الله, والأوبة له, والرجوع إليه, وهذه سمة أهل التمكين , يتزودون من ليلهم لعمل نهارهم, ويخلون بأنفسهم ساعات يلمون فيها شعثهم , ويجمعون في حضرة الله قلبهم وعقلهم؛ لذلك ضرب الله ﷻ بداود المثل في الصبر والطاعة والعبادة, وأرشد رسوله أن ينظر إليه؛ فإن سنة الله في التمكين واحدة لا تتبدل ولا تتغير, كأنه- تعالى- يقول لرسوله ﷺ :(اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم؛ فإنا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك, ثم جاعلو العلو, والرفعة, والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم, ومنهم عبدنا داود ذو القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته)([1]), وقد قال قتادة:

أعطي داود قوة في العبادة, وفقها في الإسلام, وقد ذكر لنا أنه -عليه الصلاة والسلام – كان يقوم ثلث الليل, وينام نصفه, ويقوم ثلثه, ويصوم نصف الدهر ([2]), وقد ذكر لنا الرسول- ﷺ -كيف كان ليل داود وكيف كان نهاره, من حيث العبادة, فقد كان صواما يصوم نصف الدهر, يصوم يوما ويفطر يوما, قواما يقوم ثلث الليل وينام نصفه ويقوم سدسه)([3]) والعبادة تعين على أداء أعمال الحكم ومشاقة, وتكاليفه ومسئولياته. كما تلمح صفة العبادة والعبودية لدى داود – عليه السلام – من اختلائه بنفسه ساعات خاصة, عبر عنها القرآن بقوله: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب)([4]), فاتخاذه لمحرابه وانعزاله عن الناس ساعات من الزمان يشعرك بأن العبادة لديه لم تكن أداء فريضة تنتهي بانتهاء فعلها, بل تشعرك بأنه كان يتذوق هذه العبادة بأصنافها, وألوانها من صلاة, وذكر, وتسبيح , وتهليل, ونحو ذلك. ولعل هذا واضح من تجاوب الكون معه في ذكره

[1] - انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن, ج10, ص 561, بتصرف يسير .
[2] تفسير القرآن العظيم ج4 ص 39.
[3] - معالم التنزيل ص75.
[4] - ص 21 – 23 .

وتسبيحه: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب)([1]), وهذا هو الفضل كل الفضل الذي عناه القرآن بقوله: (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد)([2]). (إن الله- تعالى- يخبر في هذه الآية عما أنعم به على عبده ورسوله داود مما آتاه من الفضل المبين, وجمع له بين النبوة والملك الممكن والجنود ذوي العدد والعُدد وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات, وتقف له الطيور السارحات,

والغاديات الرائحات, وتجاوبه بأنواع اللغات)([3]) وهذا من أثر ترجيع داود وتسبيحه واستغراقه في ذكر ربه وعبادته, وشخصية القائد الممكن لابد أن يكون له من زاد الليل ما يستعين به على مواصلة السير في النهار, حتى تخلص له نفسه, ويكمل له رأيه وعقله, ويكون أقدر على رعاية هذه الدولة الممكنة. والدعاة مطالبون بأن يكونوا عُبَّاداً قبل أن يكونوا قوَّادا حتى تصل بهم العبادة إلى أفضل قيادة.

2- رجل أوَّاب :

ذكر القرآن من صفات القائد الممكن في شخص داود عليه السلام: أنه رجل أوَّاب, رجّاع إلى الحق, أو رجاع إلى ما يحبه الله- تعالى- (والأواب التواب الذي يتوب إلى طاعة الله ويرجع إليها, ورجاع عن الذنوب كلها كلما ذكر ذنبه أو خطر بباله استغفر منه)([4]), وقد ذكر القرآن صورا متعددة من صور رجوع داود إلى الحق, منها فصله في المنازعات بين الناس بنبأ الخصم الذين تسوروا المحراب, وحكم داود لأحدهما قبل أن يسمع حجة الآخر, وعبر القرآن عنها بقوله :(وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب)([5]) ولا نتوقف عند نوع القضية وقوفا يشغلنا عن جوهر ما نريد فقد حشا كثير من المفسرين كتبهم بأشياء

---

[1] -ص 18 , 19 .
[2] - سبأ 10 .
[3] - تفسير القران العظيم ج 4 ص 695.
[4] - انظر جامع البيان ج10 ص 561, والجامع لأحكام القرآن ج15, ص 139.
[5] - ص: 24 .

لا طائل تحتها عند تناول هذه القضية ؛إنما نأخذ خيطا دقيقا رقيقا من خيوطها هو أوبة داود عندما أحس بالذنب , ورجوعه إلى ما يحبه الله واستغفاره لما فعل. (والقضية كما عرضها أحد الخصمين تحمل ظلما صارخا مثيرا لا يحتمل التأويل ومن ثم اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة, ولم يوجه إلى الخصم حديثا, ولم يطلب إليه بيانا , ولم يسمع له حجة ولكنه مضى يحكم : " لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ".. لقد كان الأمر امتحانا للنبي الملك الذي ولاه الله

أمر الناس ليقضي بينهم بالحق والعدل, وليتبين الحق قبل إصدار الحكم, وقد اختار الملكان أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة ... ولكن القاضي عليه ألا يستثار, وعليه ألا يتعجل, وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته, فقد يتغير وجه المسألة كله أو بعضه, وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعا, أو كاذبا أو ناقصا . عند هذا تنبه داود إلى أنه الابتلاء " وظن داود أنما فتناه " وهنا أدركته طبيعته ...إنه أواب " فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب " . والتعقيب القرآني الذي جاء بعد القضية يكشف عن طبيعة الفتنة , ويحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده الذي ولَّاه القضاء والحكم بين الناس " ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " إنها الخلافة في الأرض والحكم بين الناس بالحق , وعدم ا تباع الهوى. وا تباع الهوى فيما يختص بنبي هو السير مع الانفعال الأول وعدم التريث والتثبت والتبيُّن مما ينتهي الاستطراد فيه إلى الضلال. أما عقب الآية المصور لعاقبة الضلال, فهو حكم عام مطلق على نتائج الضلال عن سبيل الله. وهو نسيان الله والتعرض للعذاب الشديد يوم الحساب. ومن رعاية الله لعبده داود أنه نبهه عند أول الفتنة, ورده عند أول اندفاعة, وحذره النهاية البعيدة وهو لم يخطُ إليها خطوة, وذلك فضل الله على المختارين من عباده فهم ببشريتهم قد تعثر أقدامهم أقل عثرة

فيقيلها الله ويأخذ بيدهم ويعلمهم ويوفقهم إلى الإنابة, ويغفر لهم ويغدق عليهم بعد الابتلاء)([1]), وهذا هو الحال اللائق بنبي كريم, وعده الله بالزلفى وحسن المآب. وأوبة النبيّ الحاكم إلى الحقُ تشعر بمدى أهمية الرجوع إلى الحق عندما يلتبس على الحاكم أمر فيقضي بخلاف الصواب, حتى لا تضيع الحقوق, وداود بشر من البشر, يجري عليه ما يجري عليهم من الخطأ والنسيان, لكنه... (أوّاب) بهذه الصيغة الدالة على كثرة رجوعه إلى الله ﷻ , كما نلمح ذلك من موقفه ﵇ من الحكم في قضية أخرى هي قضية الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم.لقد حكم داود في القضية وعندما تبين له جودة حكم سليمان نزل على حكمه, وقضى بقضائه, وقد قال الله ﷻ: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)([2]) لقد حكم داود أن يأخذ صاحب الحرث الغنم, وعلم سليمان بالحكم (فدخل على داود وقال يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت. فقال كيف ؟ قال سليمان : إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام, فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها, وأصوافها, وأشعارها, حتى يستوفي ثمن الحرث؛ فإن الغنم لها نسل في كل عام. فقال داود: إن القضاء كما قضيت, ففهمها سليمان.)([3]) ونلحظ أوبة داود عبادة, وقضاءً, وحكمًا, فيما بينه وبين الله, وفيما بينه وبين الناس بما يشعرك بأنه لا يمر به خاطر إلا عرضه على منهاج الله , وتلك سمة الحاكم الصالح المصلح الذي يحسن إلى نفسه ويحسن إلى رعيته.

3- **الحكمة:**

وُصف داود﵇ بالحكمة, وذَكر القرآن له هذه الصفة فقال: (وآتيناه **الحكمة** وفصل الخطاب)([4]) وعرف داود بالحكمة ونقلت عنه, ونلمس هنا أحد جانبي الحكمة, وهو الناشيء عن حسن صلته بالله- ﷻ - عبادةً وطاعةً

[1] - الظلال ج5 ص 3018 , 3019 .
[2] - الأنبياء: 79 .
[3] - جامع البيان, ج9, ص49 .
[4] - ص: 20 .

وتسبيحاً وذكرًا؛ فإن ذلك يورث القلب خشية, واللسان حكمة, والعقل فطنة, والعمل صوابًا؛ لذلكُ أثر من حِكَم داود– عليه السلام – ما يدل على هذا كله فقد ذكر ابن كثير عن وهب بنُ منبه قال: إن في حكمة آل داود: حق على العاقل ألا يغفل عن ساعات أربع : ساعة يناجي فيها ربه, وساعة يحاسب فيها نفسه, وساعة يفضي فيها إلى إخوانه , يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه, وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيماَ يحِل وَيَجمُل ؛ فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات, وإجمام للقلوب. وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه , ويقبل على شأنه, وحق على العاقل ألا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده, ومرمة لمعاشه , ولذة في غير محرم .)([1]) والحكمة لدى داود تعني الفهم, والعلم, والعقل, والفطنة, وتعني العدل([2]), وتعني علمه بالسنن([3]), أو الإصابة في الأمور([4]), أو كمال العلم, وإتقان العمل ([5]), وعلى كل؛ فكل ما وافق الحق والعدل حكمة, وقد كان داود كذلك في فعله, وقضائه, ولا يكون ذلك إلا عن صلة وثقى بالله عز وجل .

4- قائد ربّاني :

قائد التمكين إنسان رباني في فعله وتصوراته , في حكمه ومعاملاته , في حياته كلها, ينسب كل فضل إلى ربه ويسند كل حمد إليه, وإذا تتبعنا مواقف داود وسليمان وجدنا هذه السمة واضحة لديهما, تلمح هذا من نسبة داود وسليمان الفضل فيما لديهما إلى الله عز وجل :(ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين)([6]), هذا الشعور بنسبة الفضل إلى صاحبه, والنعمة إلى منعمها يعطيك دلالة واضحة على ربانية هذين العبدين الممكَّنين, والملِكين النبِّيين,وتلمح ذلك كذلك من شعور سليمان

---

[1] - قصص الأنبياء ص 435(بدون).
[2] - جامع البيان, ج10 ص563 , الجامع لأحكام القرآن ج15 ص143 .
[3] جامع البيان, ج10 ص563.
[4] - معالم التنزيل ج1 ص41.
[5] - السابق ج1 ص76.
[6] - 15 , 16 .

ﷺ بالنعمة والفضل عندما فهم كلام جندي من جنود الله (النّملة) يسأل ربه بعدها توا قائلا: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي

أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)([1]) .

5- قائد شاكر:

والشكر سمة من سمات العبد الرباني, ينسب النعمة إلى صاحبها , ويسند الفضل إلى صاحب الفضل , وإذا نظرنا في حياة داود وسليمان وجدناهما عبدين شاكرين شكرا عمليا لا شكر لسان, وطمطمة أسنان, وقد تكررت لفظة الشكر ومشتقاتها في الآيات التي عنيت بالحديث عنهما ست مرات بعضها يتعلق بشكرهم, وبعضها يتعلق بلفت أنظار الناس إلى نعمة الشكر على منوالهم , وحسن صنيعهم؛ فقد كانوا سببا لجلب الشكر إلى صاحب النعمة, ومن ذلك قوله- تعالى- في حق داود: (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)([2]) والسؤال هنا سؤال توجيه وتحضيض. ومن ذلك قول سليمان ﷺ, وقد فهم كلام النملة وتبسم منه: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)([3]), (أدرك سليمان هذا فتبسم ضاحكا من قولها, وسرعان ما هزته هذه المشاهدة وردَّت قلبه إلى ربه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة, وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه, واتجه إلى ربه في إنابة يتوسل إليه " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ " .. "رب " بهذا النداء القريب المباشر المتصل ... " أوزعني " اجمعني كلي اجمع جوارحي, ومشاعري, ولساني, وجناني, وخواطري ,وخلجاتي, وكلماتي, وعباراتي, وأعمالي,

---

[1] - النمل 19 .

[2] -الأنبياء 80 .

[3] -الأنبياء 19 .

وتوجهاتي, اجمعني كلي اجمع طاقاتي كلها أولها على آخرها – وهو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني – لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ وعلى والديّ .. وهذا التعبير يشي بنعمة الله التي لمست قلب سليمان ﷺ – في تلك اللحظة – , ويصور نوع

تأثره وقوة توجهه, وارتعاشة وجدانه, وهو يستشعر فضل الله الجزيل, ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه ويحس مس النعمة والرحمة في ارتياع وابتهال)([1]). إن القائد الممكن قائد يستشعر الشكر ويؤدي ضريبة النعمة, قولا في تسبيحه وذكره, وعملا في توظيفه الجيد لهذه النعم وتلك المنح, كما تلمح هذا الشكر في نسبة سليمان رؤيته لعرش بلقيس أمامه إلى فضل ربه بهذا التعبير.. "رب " بما تحمل من دلالات وتعبيرات وتتكرر كلمة "الشكر" على لسانه في هذا الموقف وحده ثلاث مرات (فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربي غنيٌّ كريم)([2]), (لقد لمست هذه المفاجأة الضخمة قلب سليمان ﷺ , وراعه أن يحقق الله له مطالبه على هذا النحو المعجز, واستشعر أن النعمة – على هذا النحو – ابتلاء ضخم مخيف, يحتاج إلى يقظة منه ليجتازه, ويحتاج إلى عون من الله ليتقوى عليه, ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم, ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه, والله غني عن شكر الشاكرين, ومن شكر فإنما يشكر لنفسه؛ فينال من الله زيادة النعمة, وحسن المعونة على اجتياز الابتلاء, ومن كفر فإن الله "غنيّ " عن الشكر, " كريم " يعطي عن كرم لا عن ارتقاب للشكر على العطاء)([3]) كما تلمح هذا الشكر وهو موصول بالعمل في قوله ﷻ (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور)([4]). (إن الله تعالى لما ذكر نعمته على آل داود أمرهم بشكرها, والشكر

---

[1] - في ظلال القرآن ج 5 ص 2636 , 2637 .
[2] - النمل 40 .
[3] - في ظلال القرآن ج5 ص 2642 .
[4] - سبأ 12 , 13 .

اعتراف القلب بمنة الله تعالى, وتلقيها افتقارا إليها, وصرفها في طاعة الله تعالى وصونها عن صرفها في

المعصية)([1]), وقد كان ذلك, فقد صرف داود وسليمان النعمة فيما خلقها الله له, ونشرا كلمة التوحيد في الأرض في زمانهم, ودعوا إلى تعبيد الناس نفوسهم لله تعالى, وذلك فعل الشاكرين الحامدين.

5- قائد يعتز بالإسلام:

قائد التمكين قائد يعتز بالإسلام, يعلم أنه صاحب رسالة, ولديه دعوة, وعقيدة, يغالي بها, ولا يبيعها بأ بخس الأثمان, وعندما يشعر صاحب العقيدة بأن عقيدته شيء ثمين لا يراهن عليه, ولا يتنازل عنه, ولا يساوم فيه؛ولا ينخدع بغيره, يعطي لعقيدته صورة تليق بها, وتسمو بشأنها وتجعلها – بحق – عقيدة أهل التمكين. وقد رأينا موقف سليمان من بلقيس, تلك التي ورثت الملك كابرا عن كابر, ومنحت العقل والذكاء الذي تفيض الآيات بالحديث عنه, وعبر جندي من جنود سليمان عن مظاهر عزها بقوله – فيما صوره القرآن: (وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)([2]) وصورت الآيات ذكاءها السياسي بقولها: (أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون)([3]), وعندما ألقى ملؤها إليها الأمر قائلين: (نحن أولو قوّة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين)([4]), ما زادت على أن قالت:

(إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون)([5]), مع هذه المرأة, صاحبة تلك الصفات من الملك, والعز, والعقل, والدهاء, يتعامل سليمان عليه السلام, فلا يخضع لهذا الذي أوتيت فيه" من كل شيء, " وإنما يتعالى بإسلامه وعقيدته

[1] - تيسير الكريم الرحمن صـ677 .
[2] - النمل: 23 .
[3] - النمل: 32 .
[4] - النمل: 33 .
[5] - النمل: 34 .

فيقول لها أولا وهو يرسل كتابه إليها: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين)([1]), ويقول لها ومن معها ثانيا وهي ترسل إليه الهدية لتختبره: (أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)([2]), ويقول لنفسه ومن معه من جنده ثالثا وقد رأى عرشها مستقرا عنده: (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين)([3]).

إن سليمان عليه السلام لم يخطف بصره بريق الهدية, ولم يلفت نظره جمال حاملها, بل كان بصره هناك عند عقيدته ودعوته, ودونها كل الدعوات والعقائد؛ لذلك عظم القائد الممكن في نفوس هؤلاء؛ لأنهم عرفوا أنه ليس ملكا من ملوك الدنيا, ولاقا ئدا يسعى إلى توسيع مملكته, وفتح ما يجاورها من بلاد؛ إنما هو قائد رباني ممكَّن, يدعو إلى فتح قلوب الناس باسم الله, وتوسيع عقولهم وإدراكهم, على ضوء منهاج الله؛ لذلك كان ختام الحوار المرتقب والحديث الحذِر في غاية المهابة والجلال, فدون عقيدة الإسلام مال الدنيا وعطاء العالمين, فكانت كلمة بلقيس عندما رأت ما رأت غاية في تصوير النتيجة الحاسمة, والنهاية الفاصلة: (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)([4]) ولاحظ لفظ (مع سليمان) وليس(لسليمان) أو نحو ذلك, وكأنها اكتسبت هذه العزة العقدية, وفهمتها من هذا الدين لأول وهلة هي الأخرى, وسليمان هو هو.. الذي يؤكد هذا المعنى نفسَه عندماُ عُرضت عليه بالعشي (الصافنات الجياد), فشغل عن الصلاة وبتعبير القرآن: (عن ذكر ربه), فلم يركن إلى هذا الحال الذي لا تدوم معه النعم, ولا يستقر معه التمكين , فقال متعجبا من أمر نفسه: (إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت

---

[1] - النمل :34 .
[2] - النمل: 36 , 37 .
[3] - النمل :42 .
[4] - النمل: 44 .

بالحجاب ردوها عليّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق)([1]). إن صاحب العقيدة لا يلهيه عنها مال ولا نعم ولا متاع

ولا منصب ولا مغنم؛ فغايته واضحة,وهدفه بيِّنٌ,وطريقه مستقيم, ووسيلته ماضية ؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

وهذه الصفات: العبودية, ودوام الأوبة إلى الله والحكمة والربانية والشكر والاعتزاز بالإسلام تكاد تكون أبرز صفات داود وسليمان – عليهما السلام – في جانب العلاقة بينهم وبين الله ﷻ . ولا تقوم دولة ولا تؤسس حضارة إلا على أساس حسن الصلة بالمنعم بالتمكين .

ثانيا: في العلاقة بين الحاكم الممكن والرعية:

وإذا كان داود وسليمان قد كانت لهم صفات في العلاقة بينهما وبين الله ﷻ فإن لهما صفات في العلاقة بينهما وبين الرعية, وهذه الصفات كما حددتها الآيات الكريمة التي تناولت قصة النبيين الكريمين تمثل النموذج والمثال الذي يسعى إليه قائد التمكين, والقائد الممكن, ونستطيع أن نجمل هذه الصفات على النحو التالي :

1- **العلم :**

العلم سبب أصيل من أسباب التمكين, وعندما يتصف قائد التمكين بالعلم يكون ذلك زادا لاستمرار التمكين في دولته, ولا نقصر العلم على الجانب النظري المعرفي؛ إنما نقصد به جانب الإدراك, وجانب التوظيف, جانب المعرفة, وجانب العمل؛ فإن الحضارات لا تبنى بالشعارات وإنما تؤسس على العلم الصحيح, والعمل الصالح المخلص الدؤوب. وقد وصف الله ﷻ داود وسليمان بالعلم ولم يفرق القرآن في هذا الوصف بين العلم النظري والعلم الوظيفي التقني الذي تقام عليه الأمم ,وتبنى على أساسه الدول بل لا تقوم حضارة حقيقية إلا به,

[1] - ص :32 , 33 .

وإذا تتبعنا ألفاظ الآيات الكريمة لنلمح منها حديثها عن علم داود وسليمان وجدناها على النحو التالي :

إن الله ﷻ أخبر أنه آتى داود الملك والحكمة, وعلمه مما يشاء, وذلك بعد انتصار داود وانكسار جالوت فقال ﷻ: (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين)([1]) وقوله تعالى: " وعلمه مما يشاء " المراد به صنعة الدروع ومنطق الطير([2]) ووصف الله تعالى داود وسليمان أيضا بالعلم في قوله: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)([3]), وفي هذه الآيات ورد وصف داود وسليمان بالعلم الذي هو مادة فصل القضاء في قوله تعالى: " وكلا آتينا حكما وعلما " , والعلم الذي هو تطبيق المعرفة في قوله تعالى: " وعلمناه صنعة لبوس لكم ", والصنعة الصناعة, واللَّبُوس هنا بمعنى الدروع, وإن كان اللبوس في أصل كلام العرب يراد به السلاح كله, درعا كان, أو سيفا, أو رمحا ([4]). والآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب؛ فالسبب سنة الله في خلقه, فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ([5]). وأخبر الله تعالى أنه ألان لداود الحديد, وأمره بعمل الدروع السابغات فقال: (وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير)([6]), فقد ألان الله تعالى له الحديد معجزة, وسخره له بغير نار فكان في يده

[1] --البقرة :251, 252.

[2] - جامع البيان ج ص والجامع لأحكام القرآن ج2 ص402 والقرطبي ج3 ص258 والبيضاوي 73.

[3] - الأنبياء 78 – 80 .

[4] - انظر جامع البيان ج9 ص41.

[5] - انظر الجامع لأحكام القرآن ج11 ص321.

[6] - سبأ: 10 ,11 .

كالطين المبلول ([1]), وهذا طرف آخر من فضل الله على داود, ويبدو من ظل هذا السياق أن الأمر كان خارقة ليست من مألوف البشر, فلم يكن الأمر أمر تسخين الحديد حتى يلين ويصبح قابلا للطرق؛ إنما كان – والله أعلم – معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة وإن كان مجرد الهداية لإلانة الحديد بالتسخين يعد فضلاً من الله يذكر, ولكننا إنما نتأثر جو السياق وظلاله, وهو جو المعجزات, وهي ظلال خوارق خارجة عن المألوف)([2]), ونتوقف هنا لا عند المعجزة في إلانة الحديد فقط, إنما نريد أن نقف عند لفت القرآن أنظار المسلمين الساعين إلى التمكين قائداً ورعية إلى هذا السبب الأصيل من أسباب التمكين,وقد ذكر الله– تعالى– قيمة الحديد وفضله في السراء والضراء والسلم والحرب فقال: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز)([3]), ولاحظ هذا الربط العجيب بين الكتاب, والميزان, والحديد, والقسط, والبأس الشديد, ومنافع الناس ..., ولا يخفى ما في هذه المادة (الحديد) من نفع في السلم, والبأس الشديد في الحرب, ولا تُمَكَّنُ أمة إلا بهذه الأسباب, ولا يتميز قائد إلا بهذه الصفات التي ذكرها القرآن لداود ﷺ, أما سليمان فقد ذكر الله – تعالى– عنه في هذه الصفة قوله: (وأسلنا له عين القطر)([4]) , أي: أذبنا له عين النحاس, النحاس, وأجريناها له, وأسالها الله له في أرض اليمن, كعيون المياه دلالة على نبوته ([5])

ولا ننظر هنا إلى الجانب الإعجازي فقط – كما سبق –, إنما ننظر إلى موقف الساعي إلى التمكين من هذه الصفات, وتلك الدلالات حتى يتلبَّس بها, ويأخذ بحظ وافر من خيرها وبرها .

---

[1] - جامع البيان ج22 ص46.
[2] - الظلال ج5 ص 2897 .
[3] - الحديد 25 .
[4] - سبأ: من الآية 12 .
[5] انظر جامع البيان, ج22 ص48 , والجامع لأحكام القرآن, ج14 ص270.

2- **القوة:** من صفات القائد الممكن : القوّة في كل مجال, في مجال العبادة – كما سبق, وفي مجال التعامل مع الأشياء, ولا نعني بالقوّة العنف أو الجهل على الناس, إنما نعني بها استعمال الحق في رضا الله ﷻ , وقد وصف الله – تعالى– داود بأنه كان (ذا الأيد) : أي: (ذا القوّة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته , أو القوة في العبادة والفقه في الإسلام)([1]), ولعل وصف داود عليه السلام بأنه أواب بعد وصفه بأنه ذو الأيد يشعر بأن قوته هذه في ملكه لا تحمله على الظلم والبطش, كما يتبادر إلى وصف ذي السلطان بالقوة أنها في بطش غير صحيح, والقائد الممكن لابد أن يكون له من القوة بمعناها العام ما يرفع بها الظلم عن دولته, ولابد له من قوة الطاعة ما يحصن به نفسه من المعصية, ومن قوة العزم والإدارة ما يدبر به مملكته ودولته؛ فلابد من أن يكون ذا قوة, في أي صورة كانت هذه القوة, وعلى أي وجه, مادامت في حق, ولم تحمله على غصب ما ليس له بحق.

3- الحزم:

القائد الساعي إلى التمكين لابد له من حزم في غير عنف, ولين في غير ضعف, حزم يصل به إلى حقيقة الأمور, دون أن يحمله هذا الحزم على الظلم, أو الجبروت, أو تعدي حقوق الناس, وقد سجل القرآن هذه الصفة لسليمان عليه السلام في موقفه مع الهدهد إذ قال: (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديد أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين)([2]), (ونفهم من هذا أنه هدهد خاص معين له نوبته في هذا العرض. وليس هدهدا من تلك الألوف, أو الملايين التي تحويها الأرض من أمة الهداهد, كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصية سليمان عليه السلام وهي سمة اليقظة, والدقة, والحزم, فهو لم يغفل عن غيبة جندي من جنوده في هذا الحشد الضخم من الجن والإنس والطير, الذي يجمع أوله على آخره كي لا يتفرق وينكشف, وهو يسأل عنه في صيغة مترفعة مرنة جامعة:(مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين), ويتضح أنه غائب, ويعلم الجميع أنه غائب بدون عذر إذن, وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم؛ كي لا تكون

---

[1] - انظر الجامع لأحكام القرآن ج15 ص158.

[2] - النمل 20- 21 .

فوضى, فالأمر بعد سؤال الملك هذا السؤال الجازم لم يعد سرا, وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند)([1]), وإدارة الدول والبلاد تحتاج إلى حزم في اتزان, ولين في اعتدال, وتتبع للأمور في مظانها,وفطنة في التعامل مع الظرف القائم, كما سيتضح ذلك من خلال تعامل سليمان بعد مع الهدهد.كما نرى أنه بعد أن ظهر الحزم الشديد تجاه هذه الحادثة, بل التوعد بالعقوبة الشديدة إذا به يوقف ذلك كله على أمر هام وهو أن يكون لدى الهدهد عذر مقبول يأتي عليه بسلطان مبين وذلك دليل على إجراء تحقيق(حقيقي) قبل إصدار الحكم فلا أحكام مسبقة ولا إصدار قبل بينة.

4- سماع الآخر:

ويبدو ذلك واضحا من خلال حوار سليمان مع الهدهد, وصبره الطويل على بيان هذا الجندي من جنوده وهو يقول له: (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)([2]). إن سليمان عليه السلام لم يعاجل هذا الجندي بقرار (عسكري) يرمي به خلف السجون, ولم يعاجله بالعقوبة قبل أن يسمع بيانه, ودفاعه, ووجهة نظره في القضية, (فلعل له عذرا وهو يلوم), أو بتعبير الدستور الخالد لعله له (سلطان مبين). بهذا التعبير القرآني البديع الذي يشعر السامع, والقارئ بأن الدليل والبرهان: (سلطان), بل سلطان (مبين) يخضع له الكبير والصغير, والراعي والرعية, والحاكم والمحكوم, على حد سواء, خضوعهم(للسلطان) بما تحمله هذه الكلمة(السلطان) من دلالة وتعبير. (إن الهدهد لما قدم قالت له الطير: ما خلّفك ؟ لقد نذر سليمان دمك. فقال هل استثنى؟ قالوا : نعم. قال :"لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين" قال : نجوت إذًا)([3]) ولاحظ –إن شئت – هذا الفهم البديع من هذا الجندي البسيط (الهدهد), الذي يعرف أن سليمان لابد أنه استثنى, وعلق عقوبته على اتضاح الأمر, وبيان المتهم عن نفسه, ثم تقام عليه الحجة بعد, ولعل هذا يشعر بهذه الروح التي

---

[1] - الظلال,ج5 , ص 2638 .
[2] - النمل 22 .
[3] تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 348 بتصرف يسير .

كانت منتشرة في تلك الدولة الفتية الرائدة ,وهي أن أحدا لا يؤخذ بغير جريرة ,أو بجريرة غيره, أو بغير بينة أو سؤال, وهذه سمة الدول الناهضة التي يأ من فيها الفرد على نفسه, وماله, وأهله, وولده, حتى إن كانت القضية بينه وبين رأس الحكم, ورئيس الدولة .فسليمان هو من هو قيمة وإكباراً, والهدهد هو من هو, لكن الحق هو الحق, الذي يخضع له الكبير والصغير؛لأنه (سلطان) العدالة المطلقة, وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – : إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة, ويهزم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة. وقد كان ذلك من سليمان ﷺ ؛ فإنه يسمع ويرى مقالة الهدهد حتى يكون على بصيرة من الأمر وعلم؛ (إنه ليس ملكا جبارا في الأرض, إنما هو نبي, وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب, فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه , ويتبين عذره, ومن ثم تبرز سمة النبي العادل)([1]), وتبرز سمة الحاكم الصالح المصلح الذي لا يأخذ بغير جريرة ولا يعاجل بالعقوبة, بل يتأنى ويتريث حتى يستبين الأمر, وتتكشف الملابسات. وقد بدا ذلك واضحا في تعليم الله نبيه داود في نبأ الخصم الذين تسوروا المحراب: (إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)([2]), فقد عاتب الله نبيه داود ؛ لأنه قضى في المسألة دون أن يتريث ويسمع وجهة نظر الخصم, وسليمان ﷺ في موقفه مع الهدهد نموذج من نماذج القائد الممكن, والحاكم الصالح؛ فقد قبل عذره بعد أن تبين صدقه – وقد يظن بعض الناس– من أثر ضغط الواقع الذي يعيشونه أن تلك سمة فخرية من سمات القائد والحاكم, والأصل أن هذه صفة أساسية في الدولة التي يمكن لها أو تسعى إلى التمكين, فليست هبة من الحاكم يعطيها عندما تجود بها نفسه, ويحجبها إذا أراد ففي قوله تعالى: (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) (دليل على أن الحاكم يجب

---

[1] - الظلال ج5 ص 2638 .

[2] - ص 22-25 .

عليه أن يقبل عذر رعيته, ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم؛ لأن سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه, وإنما صار صدق الهدهد عذرا؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد, وفي الصحيح ليس أحد أحب إليه العذر من الله ﷻ من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل)([1]). إن الدولة الممكنة تصحح المفاهيم المغلوطة في أذهان الناس تلك التي درجوا عليها ؛ لأنهم ولدوا ونشأ وا وَرُبوا في ظلال كثير من المفاهيم المغلوطة, وهذه إحدى سمات الدولة الممكنة أن تصحح الفكر, وتضع الأمور في نصابها.

4- حسن التوظيف للأفراد:

القائد الذي يسعى إلى التمكين لابد أن تكون لديه القدرة على حسن التوظيف للأفراد, والانتفاع بمهاراتهم, كل في مجاله, دون مجاملة أو محاباة, وقد وظف سليمان عليه السلام جنوده بطريقة منضبطة منظمة, ووضع كل جندي في مكانه الطبيعي المناسب, ومن ذلك إرساله للهدهد خاصة دون أحد غيره, وعنده الجن, والإنس وباقي الطير, وفي ذلك من اللمحات ما فيه, فالهدهد هو صاحب هذا الخبر, وهو الذي عرف حالهم, فهو أقدر على إبلاغهم كلمته, وتعريفهم برسالته, وقد كان من أهداف سليمان من هذا الكتاب بعد دعوتهم إلى التوحيد إعلامهم بما هو فيه من العز بالإسلام, والقوة, والغلبة به,وانتظام دولته, وصلاح رعيته حتى أرسل هذا الجندي البسيط, بهذه الرسالة الخطيرة التي لا يحملها أي سفير, بل سفير خاص؛ لذلك عجبت بلقيس من هذه الطريقة التي وصلتها بها هذه الرسالة, ولفت نظرها شكله قبل أن ترى مضمونه فقالت: (إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين)([2]), (لقد جاء الهدهد إلى قصرها إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها, ثم تولى ناحية أدبا ورياسة, فتحيرت مما رأت, وهالها ذلك, ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته,

---

[1] - الجامع لأحكام القرآن, ج13 ص189 , والحديث أخرجه البخاري, ج 6 ص 2698 من حديث سعد بن عبادة برقم 6454, ومسلم ج 2 ص 1136.

[2] -النمل: 29-31.

ففتحت ختمه, وقرأته, وعرفت ما فيه, ووصفته بأنه كتاب كريم, وهي تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره, كون طائر أتى به, فألقاه إليها, ثم تولى عنها أدبا, وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم إلى ذلك)([1]) وتعددت تفسيرات المفسرين لوصفها للكتاب بأنه كريم, وكلها دالة على عظم هذا الكتاب, وعظم مرسله, وحامله, وطريقة إرساله, وسيأتي مزيد بيان لموقف الهدهد في مبتدئه ومنتهاه عند الحديث عن جندي التمكين([2]), كما نلاحظ أن سليمان عندما أراد أن يحضر عرش بلقيس عرض الأمر ليتقدم للمهمة أقدر الناس على القيام بها, وليربي في جنوده الذاتية والحماس والتطوع للعمل فقال (أيكم يأتيني بعرشها), وهذا أسلوب راق في الإدارة والتوظيف.

6- قائد يتفقد رعيته:

القائد الممكن قائد يتفقد رعيته, ولا يشغله مقام عن مقام، ولا يلهيه ما هو فيه من ملك وعز عن تفقد أفراد رعيته, وتحسس أحوالهم، وموقف سليمان مع الهدهد نموذج رائد في العلاقة بين الراعي والرعية، وقد تفقده وسأل عن سبب فقده له، وغيابه عنه، هذه الصفة الدالة المعبرة " وتفقد الطير ....." (3) , وقد دل ذلك على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره للأمور الصغار والكبار, حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور، والنظر هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء, " ولم يصنع شيئا من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر تحت الأرض الكثيفة؛ فإن هذا القول لا يدل عليه دليل، والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام الطير وفقده الهدهد يدل على حزمه وتدبيره الملك بنفسه، وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير" (4), وهذا العمل من سليمان أنموذج للقائد الممكن, الذي لا يشغله جانب من الرعية عن جانب آخر، ولا تأخذه كبار الأمور عن صغارها فتنتظم شؤون الملك ويستقر أمر الدولة على الوجه المراد.

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ج3 ص349 بتصرف يسير .

[2] - انظر ص من هذه الدراسة .

(3) النمل 20، 21.

(4) تيسير الكريم الرحمن ص 603.

6- قائد يحسن عرض قضيته:

القائد الممكن قائد أريب لبيب لديه قضية رابحة، فلابد وأن يكون عرضه لها على مستواها ولائقا بها, وقد كان ذلك من سليمان ﷺ عندما أراد أن ينشر رسالته, ويعبد الناس لخالقه, عرض قضية في صورة رائقة, راقية في شكل الرسالة التي أرسلها, وفي مضمونها, وفي حاملها؛ أما الشكل فقد كان في صورة لافتة لأنظار أهل الملك, وأرباب السلطان, حتى وصفوه بأنه "كتاب كريم", وأما في مضمونها فقد كان مضمونا ليس أكرم منه؛ لأن فيه "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ..." (1), وقد قال بعض المفسرين إن وصف بلقيس له بأنه كريم لما يحمله من بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي..." ,

وأما حامل الرسالة فكان على مستوى الرسالة؛ جنديا له إيجابية منذ البداية, وله بصر بمن حوله من الأمم الأخرى، وله رأي في أحوالهم وأوضاعهم حتى علق على صنيعهم بقوله " وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون...."

8- قائد يثق في جنوده :

فعندما اعتذر له الهدهد وأخبره هذا الخبر لم يكذبه, ولم يرسل أحدا غيره لينظر مدى صدق روايته وإنما أرسله هو نفسه بالرسالة ليكمل المهمة وهذا دليل على مدى ثقته في الهدهد وقدرته على إكمال مهمته فلابد لقائد التمكين من الثقة فى جنوده لتزداد ثقتهم فيه وهذه من سمات دولة التمكين الثقة المتبادلة بين القائد والرعية.

---

(1) النمل 24.

جنود التمكين:

والتمكين كما يحتاج إلى قائد يدعو إليه ويسعى به, يحتاج إلى جنود تحمله وتنفذه فإن الجسد لا يمضي بالعقل وحده؛ إنما يحتاج إلى سواعد تعينه, وأقدام تحمله, وعيون ترى له, وآذان تسمع ما يفيده, ومنظومة متكاملة من الجوارح والأعصاب يحيا بحياتها, وينتعش بانتعاشها, حتى يصل الجميع إلى الهدف المقصود, والغرض المبتغى.وإذا كنا قد عرفنا صفات الإنسان القائد فإننا بحاجة إلى تعرف الجزء الباقي لهذه الصورة وهو الإنسان الجندي, وقد حفلت الآيات الكريمة التي تناولت قصة داوود وسليمان –عليهما السلام – بعدد من الصفات التي تخص جنود التمكين كذلك ومن ذلك ما يلي :

1. إيجابيٌ صاحب حركة :

جندي التمكين ليس شخصا فارغا من المضمون, أو خاملا في الوجود, بل هو جزء من منظومة متكاملة, تسعى إلى تعبيد الناس لله, وتوحيده في صدور الخلق, ونشر رسالة العدل والتوحيد في العالمين, وتلك هي الأهداف العظام التي تتحملها النفوس الكبار.

وَإِذَا كَانَت النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَت فِي مُرَادِهَا الأَجسَامُ([1])

وقد أعطى الهدهد أنموذجا لجندي التمكين الإيجابي المتحرك الذي يقطع المسافات من أرض فلسطين إلى أرض اليمن حتى يكشف هذا الواقع غير المرتبط بالله، وقد رأينا موقف بعض الجن عندما سمع سليمان عليه السلام " أيكم ...." فقال " أنا آتيك به ...." وقال غيره ممن عنده علم من الكتاب " أن آتيك به...."

وتلك طبيعة جندي التمكين صاحب إيجابية باقية وحركة فاعلة, وقد كانت تلك سمة تعطى أهل الجاهلية وهم في جاهليتهم حتى قال طرفة بن العبد:

---

[1] - خزانة الأدب وغاية الأرب, لتقي الدين أبي بكر الحموي ,ج1, ص,251 ط دار الهلال, ط أولى 1987 مـ , ت عصام شعيتو .

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

لقد ترك الهدهد مكانه في هذه المملكة الهانئة المستقرة وسعى كما سعى مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون وكما سعى ويسعى جنود التمكين في كل مكان وزمان حتى ينقل لسليمان عليه السلام أخبار هذه المملكة وهذه سمة أساسية من سمات جند التمكين أنه جندي إيجابي لا يرضى بالراح ة ولا يركن إلى العافية والسلامة وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إِذَا غَـــامَرتَ فِـــي شَـــرَفٍ مَـــرُومِ فَـــلا تَقنَـــع بِمَـــا دُونَ النُّجُـــومِ
فَطَعــمُ المَــوتِ فِــي أَمــرٍ حَقِيــرٍ كَطَعـمِ المَـوتِ فِـي أَمـرٍ عَظِـيمِ([1])

وقال أيضا:

عَلَـى قَـدرِ أَهـلِ العَـزمِ تَـأتِي العَـزَائِمُ وَتَـأتِي عَلَـى قَـدرِ الكِـرَامِ المَكَـارِمُ
وَتَعظُـمُ فِـي عَـينِ الصَّـغِيرِ صِـغَارُهَا وَتَصغُرُ فِي عَينِ العَظِيمِ العَظَائمُ([2])

2. ذكي في عرض قضيته :

وجندي التمكين جندي واع بقضيته يعرف قيمتها ويحسن عرضها ويلتمس أنسب الطرق في بلاغها فإن جودة السلعة ليست كافية لرواجها بل تحتاج إلى عرض جيد وبلاغ مبين وحقيقة القضية ليست كافية ربحها وكسبها بل تحتاج إلى محام ماهر يحسن عرضها ويجيد بيانها وقد كان هدهد سليمان هذا المحامي الماهر والجندي الذكي الذي عرض فكرته وأحسن عرضها واعتذر عن تأخره فأحسن الاعتذار ولفت نظر سليمان ببلاغة بيانه, وحسن تخلصه, ويبدو ذلك من براعة

[1] - خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر الحموي ج1 ص192.
[2] - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ط المكتبة العصرية بيروت 1995 مـ لأبي الفتح الموصلي ج2 ص 286 ت محمد محيي الدين عبد الحميد

استهلاله بقوله: " أحطت بما لم تحط به" بهذه البداية اللافتة لنظر سليمان وسمعه أن يقول له جندي من جنوده: "علمت شيئا من جميع جهاته لم تعلم به, فكافح سليمان بهذا الكلام, مع ما أوتي من فضل النبوة والعلم ابتلاء له في علمه(1) وفي تعبيره عما يحمل بلفظ (**النبأ**), الذي يدل دلالة واضحة على الخبر العظيم, وفي إجماله في البداية بنبأ, وتفصيله بعد "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم" ولم يرد الهدهد بما ادعى الإحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون تعرفها والإحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون إثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية على جناية فيحتاج إلى الاعتذار عنه.....

وعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده -عليه الصلاة والسلام- وترغيبه في الإصغاء إلى اعتذاره, واستمالة قبله نحو قبوله؛ فإن النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل, وإلى تلقي ما لا تعلمه أميل, ثم أيده بقول " وجئتك من سبأ بنبأ يقين"حيث فسر إيهامه نوع تفسير وأراد أنه كان بصدد إقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذي هو الخبر الخطير, والشأن الكبير"(2). لقد أحسن الهدهد الجندي عرض قضيته وأجاد في الاعتذار وكله ثقة وأمان بأنه في دولة التمكين التي يأخذ كل فيها حقه وقدره دون تجن أو ازدراء.

4- منضبط في تنفيذ مهمته:

جندي العقيدة يتميز بالسمع والطاعة, والدقة, والانضباط في سمعه وطاعته, فهو يطيع طاعة مبصرة لا طاعة عمياء, ويلتزم أوامر قائده دون تزيد أو انتقاص, لقد أراد سليمان أن يتثبت من مسألة الهدهد وقضيته لينظر أصدق أم هو من الكاذبين, وأمره بأن يذهب بكتابه إليهم فقال: " اذهب بكتابي ....." (3)

---

(1) النسفي, ج3, ص209.
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم, ج6, ص 280.
(3) النمل: 28.

وقد كان فذهب الهدهد برسالة سليمان, وتفقد الأمر حسب ما تمليه أوامر القائد الممكن, حتى لفت ذلك نظر بلقيس؛ فإنه ليس كل هدهد يعلم هذا الذوق, والأدب, والألق, في إبلاغ الرسالة, فألقى الكتاب و"نظر" انتظر حتى سمع وقع هذه الرسالة على الملكة ورجال مملكتها؛ "لأن مراجعة المرأة قومها كان بعد أن ألقى إليها الكتاب ولم يكن الهدهد ليعرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعون قبل أن يفعل ما أمره به سليمان " (1) وفي أمر سليمان له بقوله " ثم تول عنهم" حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك"(2)

5- معتز برسالته وفاهم لحقيقتها:

جندي التمكين جندي يعتز برسالته التي أكرمه الله بها ومن بها عليه، فهو جندي عقيدة وفكرة, لا موظف في دولة أو عامل في شركة, بل هو صاحب رسالة, كبر حجمه أو صغره, تلمح ذلك في كلام هدهد سليمان, ووصفه لأهل سبأ, وتعقيبه على صنيعهم بقوله: "وزين لهم الشيطان...." (3) إن الهدهد هنا يجلس على كرسي المعلم, وينعي أولئك الأقوام الذين تمكن الشيطان من عقولهم, فزين لهم ووسوس, وصرفهم عن داعي الفطرة للإيمان بالله عز وجل الذي يدل عليه كل شيء

وَفِـــي كُـــلِّ شَـَــيءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ تَـــدُلُّ عَلَـــى أَنَّـــهُ وَاحِـــدُ(4)

ونراه أيضا على فهم جيد لعقيدته ودعوته مما جعل سجودهم للشمس من دون الله يلفت نظره ويستنكره استنكارا شديدا ويصف أيضا ما يجب إن يكون عليه العباد وحجته على ذلك فقال:(وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات

(1) جامع البيان عن تفسير آي القرآنج 9ص 512.
(2) الجامع لأحكام القرآن, ج13 ,ص 171.
(3) النمل 24- 26.
(4) الأغاني, جـ 4 ، ص 39. والبيت لأبي العتاهية.

والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم), وهكذا يجب أن يكون جند ى التمكين على وعى وفهم بحقيقة دعوته وأن يبنى كل تصوراته وحكمه على الأشياء من خلالها, ويزن الأفراد والأعمال على أساسها, وهذا هو التجرد بعينه.

6- قادر على تشخيص رؤيته:

وجندي العقيدة جندي التمكين له بصر بما يرى ويرصد ولديه قدرة على التوصيف الجيد والتكليف السليم إن الهدهد عندما وقع بصره على مملكة بلقيس واليمن معروف في وقتهم وبعد وقتهم بجمالها وزرعها وظلالها لم يلفت نظره استراحة غناء ولا دوحة وارفة بل وقف يستحضر فكرته وعقيدته ويجعلها معيارا لما يرى عليه هؤلاء المساكين والناظر لكلام الهدهد وهو يرصد لسليمان ما رأى يرى قدرة هذا الجندي على تشخيص رؤيته عندما يقول "إني وجدت امرأة ...." (1)

ولاحظ ترتيب القضايا لدى الهدهد امرأة تملكهم أوتيت من كل شيء . لها عرش عظيم . يسجدون للشمس من دون الله . وتعبيره بقوله وجدت ولم يقل رأيت إشعار بأن رحلته لم تكن للتنزه والعبث ورأى ما رأى في طريقه بل بحث فوجد لذلك قال صاحب إرشاد العقل السليم "وإيثار وجدت على رأيت للإيذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بإيراد نفسه في معرض من يتفقد أحوالهما و .... فإنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان " (2)

7- يوظف طاقاته لعقيدته وفكرته:

جندي التمكين جندي يعيش لعقيدته ليله ونهاره وحركته وسكونه وخطوه وممشاه إن فكر ففي عرضها وإن عمل ففي سبيلها وإن تحدث فعنها وإن باهى فبها وإن غامر فلها ويبدو ذلك واضحا من قول الهدهد " ألا يسجدوا لله .."(3).إن هذا الخبء هو كل مخبوء في الأرض من نبات, وفي السماء من غيث, كما قال أهل

---

(1) النمل 23، 24.
(2) إرشاد العقل السليم ج6 ص281 .
(3) النمل 25، 26.

التفسير لكن ألمح أنه يريد بالمخبوء هنا طعامه الذي يراه في اليوم مرات وكأن هذا الجندي يعز عليه أن يرى شيئا في يومه وليله ونهاره دون أن يجعله وسيلة لبلاغ رسالته, كما وظف الذي عنده علم من الكتاب علمه وطاقته في إحضار عرش بلقيس.

وهناك من صفات جندي التمكين في هذا الأنموذج وفي غيره ما يحتاج إلى دراسة مفردة تأتي في حينها إن شاء اله تعالى, وتلاحظ أن بعض الصفات قد تكون شركة بين القائد والجندي لأن الكل في النهاية جنود في مهمة واحدة وإن اختلفت المواقع واختلفت الأقدار ولا يكون القائد قائدا بحق حتى يكون جنديا بحق.

ثانيا:المنهاج أو(أساس مقومات دولة التمكين):

أساس مقومات الدولة الممكنة أن يكون لديها منهاج حقيقي تسير على ضوئه، وتمضي علي سناه, يعصمها من التردي في الهوى ، ويحفظها من التجارب البشرية الفاشلة في المجالات التي لا يحسن فيها تجارب البشر، وعلي قدر ارتباط الدولة بهذا المنهاج تكون قوة دعائمها, ورسوخ قوائمها, وثباتها في وجه المحن والأعاصير, ولهذا المنهاج الذي يعصم الدولة الممكنة من الانفراط ,أو التميع في دروب غير سوية صفات تجعله – بحق –عاصما لها من السقوط والهبوط ومن تلك الصفات :

1. منهاج رباني معصوم:

لابد وأن يكون مصدر هذا المنهاج الله ﷻ ، فإذا كانت الدولة تسعي إلي تمكين نفسها, أو يسعي جماعة من الناس إلي التمكين فلابد أن يكون منهاجهم في التعامل مع الحياة والأحياء منهجا ربانيا, مرجعه ربه في حكمه وقضائه، في فصله وتعاملاته، في تصوراته وأفكاره، في قيمه وسلوكه، فتكون الأمة كلها, والدولة جميعها كأنها منظومة واحدة, يسعي كل جانب فيها إلي إكمال الأخر, ويمضي كل فريق إلي البناء علي ما بدأه غيره فيكونون (كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر)([1]), كل لبنة من لبناته تؤدي وظيفتها في مكانها الذي

[1] - الحديث أخرجه البخاري في الجامع الصحيح, ج,5 ص,2238, ط دار ابن كثير اليمامة, بيروت, ت مصطفى ديب البغا , ومسلم ,ج4, ص ,1999 برقم , 2586ك البر والصلة, باب تراحم المسلمين وتعاطفهم, ط دار إحياء التراث العربي, بيروت, ت محمد فؤاد عبد الباقي .

خلقها الله لـه, دون تحيف فـي الحق أو تزيد فـي الواجب, فتصير المنظومة كلها (صفا كأنهم بنيان مرصوص)([1]), ولا يكونون كذلك إلا إذا كانت مرجعية التعامل واحدة وصادقة، مرجعية ربانية, لا تحابي ولا تجامل, وقد رأينا عندما يكون المنهاج في التعامل واحدا يكون الجميع أمام الحق سواء, فداود يتنازل عن قضائه لأن ولده سليمان له رأي أفهم وقضاء أحكم، وسليمان يتنازل عن حكمه ويسمع قضاء الهدهد المتألق في بيانه وبلاغه وهو يقف في مكان غير بعيد ليقول: (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين).([2]) وهذا المنهاج الرباني لابد أن فيه خير البشرية لأنه من قبل الله – تعالى– خالقهم وهو أعلم بهم وبما يصلحهم؛ (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)([3])

2. **منهاج إنساني واقعي :**

ومنهاج التمكين الذي ُيحكّمه الإنسان في نفسه وبنفسه علي أرضه منهاج واقعي يتعامل مع واقع يحياه لا عالم يتراءاه، وتلمح هذا من وقفات سليمان . عليه السلام . مع من حوله ، فهو يتفقد رعيته ، وعندما يغيب أحد جنوده يطالبه بعذره قبل أن يحكم له أو عليه (لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين)([4]), وعندما يأتيه الهدهد ببيانه, ويصف له حال سبأ وملكة سبأ يقول : (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون)([5]) . وتبدوا ملامح الواقعية في هذا المنهاج كذلك عندما يأمر سليمان أن ينكر لبلقيس عرشها :(نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون)([6])، ويبدوا كذلك من خلال تعليل سليمان قبل معرفتها به بقوله: (وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين)([7]).

---

[1] - الصف : 4.
[2] - النمل :من الآية 22.
[3] - الملك:14.
[4] - النمل : 21.
[5] - النمل : 27 ، 28.
[6] - النمل : 41.
[7] - النمل : 43.

3. **منهاج عادل :**

المنهاج الذي يكون أساس مقومات دولة التمكين منهاج عادل, يرى فيه كل صاحب حق حقه ، وكل صاحب جرم عقوبته فيشعر الناس بالأمان فتزدهر الدولة وتتحرك الحياة بفكر الناس فيعملون وهم واثقون أن حقوقهم مكفولة وكرامتهم مصونة لن يصادر لأحدهم رأي ، ولن يكسر له قلم ، ولن تحرق له فكرة ، وإن تحدث في أخطر القضايا ما دام حديثه في ضوء المباح والمتاح في منهاج العدالة الربانية لا في منهاج الحاكم وشريعته ، وموقف الهدهد مع سليمان يعطي هذا النموذج بألق وثبات (أحطت بما لم تحط به علما وجئتك من سبأ بنبأ يقين), وسليمان يسمع ويفكر بل ينفذ (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) فسليمان والهدهد أمام هذا المنهاج سواء الهدهد يؤدي دورا محمودا وسليمان يؤدي واجبا كذلك رغم اختلاف المقامات والأدوار لكن في النهاية (كل في فلك يسبحون)([1])وعندما تتوفر هذه الصفة في المنهاج وتوظّف التوظيف الفاعل المتبع تعمل الأمة كلها كأنها جهاز واحد ومنظومة واحدة ، كل جهاز يخدم صاحبه يمهد بعضه لبعض ، ويؤكد بعضه علي بعض لأن الكل يصدر عن تصور واحد وينطلق نحو غاية واحدة ، وقد رأينا كيف انطلق الهدهد تاركا موكب سليمان ليعرف من رحلته أحوال أمة من الأمم ينقلها لسليمان خطوة من خطوات البلاغ يكملها سليمان . عليه السلام . بعد الثبت والتحري بإرساله هذا الكتاب (الكريم), ويتممها الذي عنده علم من الكتاب بنقل عرش بلقيس من اليمن إلي ملك سليمان في فلسطين؛إنها وحدة متكاملة تسعي نحو هدف واضح يعمل كل فرد فيها دوره في دقة وانتظام دون تجاهل للواجبات أو تحقير للأعمال فالكل ماض في طريق واحد.

هذا الشعور ليس من فراغ إنما ينشأ– حينما ينشأ من اطمئنان إلي عدالة المنهاج المتبع والدستور الحاكم.

ثالثا: الأرض والسمات الحضارية لدولة التمكين:

[1] - يسن :40.

ودولـة التمكين كما تقوم علي عنصـر الإنسـان, وعنصـر المنهاج تقوم أيضـا علـي عنصـر الأرض, وهو العنصـر الثالـث مـن عناصـر التمكين لا تقـوم دولـة إلا علـي أساسه ولا تبني حضارة إلا من خلاله ؛ فقد يولد الإنسان الساعي إلي دولـة التمكين, ويوجـد المنهـاج الـداعي إلـي التمكـين ، ولا توجـد الأرض وهـي الظـرف الحقيقـي لاستيعاب الإنسـان والمنهـاج، وقد حفل القرآن بنمـاذج حملت رايـة التمكين وتشرّبت منهاجـه ولـم يتـوفر لهـا عنصـر الأرض فلـم تصـل إلـي التمكين الكامـل وإن قطعت شـوطا فـي طريقـه ، وعنـدنا نمـاذج أصـحاب القريـة ، ومـؤمن آل يسـن، ومـؤمن آل فرعون ، وأصحاب الأخدود ، إلي غير ذلك من النماذج البشرية التـي سعت بمنهاج التمكين ، ولـم يتـوفر لهـا بقيـة عناصـره, فمضـت شـوطا فـي طريـق التمكين لكـن لـم يتيسر لها الوصول إلي نهايته.

والأرض ليس المراد بها مساحة من الطين ، أو وحدات من البنـاء إنمـا المـراد بهـا الظرف المكاني الذي يستطيع الإنسان أن يطبّق عليه هذا المنهاج دون قيد أو مـانع ، ولا تكتمل منظومة الدولة إلا بهذا الجزء الذي يظل الإنسان بدونـه صـوتا فـي فضـاء ، والمنهاج مجموعة من المعارف والثقافات أو منظومة من الأفكار والتصورات حتـى يتهيأ للإنسان التصور الصحيح للحياة والأحياء، والمنهاج هذا العنصر الثالث والركن الذي تكتمل بـه زاويـة البنـاء وقد جمع الله لداود وسليمان هذا العنصر الأصيل فملك ملكا لم يكن لأحد من بعده حتى قال: (رب اغفر لـي وهب لـي ملكا لا ينبغـي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب .... الآيات)([1])

السمات الحضارية لدولة التمكين :

إذا تأملنـا فـي دولـة التمكـين التـي دانـت لسـلطان داود وسـليمان –عليهمـا السلام– وجدنا لها عددا من السمات الحضارية ، فقد كانت دولـة العلم والإيمان بكل ما تعنيه الكلمة من معني ويمكننا أن نلمح هذه السمات في النقاط التالية :

[1] - ص : 35 - 40.

1. دولة العلم والإيمان :

لقد قامت دولة داود وسليمان علي العلم الصادق, والإيمان الراسخ ، وتكاد تكون هاتان الدعامتان هما أساس التمكين لأي دولة تسعى إلي التمكين؛ فقد حفلت دولة داود وسليمان –عليهما السلام– بالعلم المعرفي, والعلم التطبيقي، وتميزت في جانب الحكم والقضاء بين الناس وفصل المنازعات علي أساس منهاجي رباني راشد, أقامت به العدالة, دون تميز بين حاكم ومحكوم, حتى يقول بعض الرعية للراعي:(أحطت بما لم تحط به)([1]) أو يقول :(احكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلي سواء الصراط)([2]), وتقوم علي العلم: (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنت شاكرون)([3]) (وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه)([4])

فهي دولة تجمع بين العلم بمعانيه المختلفة, والإيمان بدلالاته المتعددة، ولقد جمعت آية سبأ هذه الصفة بكل معانيها في قوله تعالي:

(ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد)([5]). والى جانب العلم تجلت سمات الإيمان في القيادة والجنود, فالقيادة حامده لله تعالى ترد الفضل إليه في كل شيء: (وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)([6]), ونراها دائمة الشكر لله, وسؤاله العمل الصالح: (وقال رب أوزعنى إن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)([7]), وهى القيادة التى تخاطب العالم بسم الله الرحمن الرحيم :(إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم)([8])

وأما الجنود فكان واضحا في موقف الهدهد وغيرته الشديدة على عقيدته في أن يرى خلقا من خلق الله يسجدون لغير الله: (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء فى

---

[1] - النمل :40.
[2] - ص : 22.
[3] - الأنبياء : 80
[4] - سبأ :12 .
[5] - سبأ : 10.
[6] - النمل: 15.
[7] - النمل:19.
[8] - النمل30.

السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون0الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم)([1]).

2- دولة تجمع بين جانب القيم وجانب المادة:

ودولة التمكين لا تغالي في شيء علي حساب آخر بل تتوازن فيها الحقوق والواجبات, والمادة والقيم فلا يتضخم شيء علي حساب شيء آخر, ويبدو ذلك من خلال اهتمام دولة داود وسليمان بجانب المادة ممثلا في اهتمامهم بآلات الحرب الدروع أو:(اللَّبُوس) بتعبير القرآن الكريم,وصناعة الحديد ,والقطر, والمحاريب, والتماثيل, والجفان, والقدور الراسيات, والخيل (الصافنات الجياد), وجانب القيم ممثلا في العلم, والتسبيح, والشكر, والدعاء, والحرص علي الرعية, وتفقد أخبارها, والتثبت من الأخبار المسموعة, والاعتزاز بقيمة الإسلام, والارتفاع به علي جانب المال, والشعور بأن ما آتاهم الله خير من زخرف الدنيا وزينات الحياة, وقبول العذر, وسعة الصدر... إلي غير ذلك من السمات الحضارية التي تعلي قيمة الدولة وترفع شأنها.

3-دولة الحرية والعدالة :

ويتجلى ذلك في هذه الحرية التى أتاحت للهدهد أن يقف مدافعا عن نفسه أمام القائد الأعلى للدولة بل يخبره بما لا يعلم: (أحطت بما لم تحط به)ولم يفعل ذلك إلا لأنه يأ من على نفسه.

الخاتمة

أسأل الله حسنها

وبعد فهذه رحلة مع قضية من القضايا التي تشغل بال الباحث والقارئ والعالم والأمي كل على قدر اهتمامه بها لتعلقها برسالة المسلم في الحياة ووظيفته في الأرض – أنى كان موقعه,وهي عبادته وخلافته عن الله في أرضه, في ضوء

---

[1] - النمل: 25, 26.

منهاجه, وقد مضت هذه الورقات حول توصيف مراحل التمكين ورصدها من خلال آيات القرآن الكريم في ضوء ثلاثة نماذج من نماذج التمكين هي:أصحاب القرية ومؤمن آل يس, ويوسف وداود وسليمان, على الجميع الصلاة والسلام وحاولت الدراسة – من خلال الآيات القرآنية تحديد مراحل التمكين, ووجدت أنها تمضي متوازية ومتكاملة في ثلاثة مراحل في آن واحد هي: مرحلة البلاغ التعريف,وأخذت لها نموذجا أصحاب القرية, ومؤمن آل يس باعتبارهما نموذجا واحدا, ومرحلة المشاركة والتأليف, وأخذت لها نموذجا يوسف عليه السلام, ومرحلة تمام التمكن وإقامة الدولة, وأخذت لها نموذج داود وسليمان– عليهما السلام– باعتبارهما دولة واحدة. والدراسة لا تهدف فقط إلى توصيف هذه المراحل وإن كان التوصيف جزءا من العلاج, إنما تُعني كذلك برصد ملامح التمكين من خلال هذه المراحل, داعية كل مسلم أن يستلهم هذه المراحل وصفات كل مرحلة ليأخذ حظه من المشاركة عمليا لإقامة شرع الله على أرضه, لعل الله يجري الخير على يديه, لدينه وبلاده ويمكن للمسلمين بعد طول غربتهم وغيبتهم.

والله من وراء القصد

اللهم اغفر لي خطئي وعمدي, وجدي وهزلي, وكل ذلك عندي,اللهم اجعلنا من جندك الفاتحين وعبادك الممكَّنين؛ إنك على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رمضان خميس زكي الغريب

حائل– المملكة العربية السعودية 25 من شهر الله المحرم 1428هـ 12 /2/ 2007 مـ

فهرس المراجع والمصادر

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا:

إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع, للإمام عبد الرحمن بن

إسماعيل المعروف بأبي شامة ت 590 هـ, ت / إبراهيم عوض.

أدب الكاتب, لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري, ط المكتبة التجارية – مصر, ط الرابعة, 1963 مـ, ت / محمد محي الدين عبد الحميد.

أساس البلاغة, جار الله الزمخشري, ط الهيئة المصرية العامة للكتاب,.

الأغاني, لأبي الفرج الأصفهاني, ط دار الفكر, بيروت, ط الثانية.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل, ط دارا لجيل(بدون).

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, للفيروزآبادي, ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, 1421هـ /2000 م.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى بالتحرير والتنوير, لسماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور, ط دار سحنون(بدون)

تفسير القرآن العظيم, لأبي الفداء بن كثير, ط دار الحديث القاهرة ,ط أولى, 1408 هـ / 1988مـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي, ط مؤسسة الرسالة, ط أولى.

جامع البيان عن تفسير آي القرآن, للإمام محمد بن جريرالطبري, ط دار الحديث.

الجامع الصحيح المختصر, للإمام محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري الجعفي, ط دار ابن كثير, الطبعة الثالثة 1407هـ 1987 مـ, ت/ د. مصطفى ديب البغا.

الجامع الصحيح سنن الترمذي, للإمام محمد بن عيسى الترمذي, ط دار إحياء التراث العربي, بيروت, بتعليق الشيخ الألباني.

الجامع لأحكام القرآن, لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, دار الكتاب العربي, القاهرة, ط الثالثة 1387 هـ 1967 هـ.

حكم المشاركة في الوزارة والمجالس النيابية, ,. د عمر سليمان الأشقر, ط دار النفائس عمان الأردن, ط أولى 1992_م.

خزانة الأدب وغاية الأرب, لتقي الدين أبي بكر الحموي, ط دار الهلال, ط أولى 1987 مـ , ت عصام شعيتو.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, لشهاب الدين الألوسي, ط

دار الكتب , 1403 هـ 1983 مـ .
سنن أبي داود –سليمان بن الأشعث السجستاني, ط دار الفكر,ت محمد محي الدين عبد الحميد , مع الكتاب تعليقات كمال يوسف الحوت, ومذيلة بتعليقات الألباني.
صحيح ابن حبان, محمد بن حبان بن أحمد السجستاني, ط مؤسسة الرسالة, بيروت, ط الثانية 1414هـ 1993 مـ, والأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط.
صحيح مسلم, للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري, ت/ محمد فؤاد عبد الباقي,ط دار إحياء التراث العربي, بيروت.
فقه النصر والتمكين, د.علي الصلابي, ط أولى 1422 هـ / 2001 مـ, مكتبة الصحابة .
في ظلال القرآن, للأستاذ سيد قطب, الطبعة الشرعية العاشرة, 1402 هـ /1982 مـ.
القاموس القويم للقرآن الكريم, إبراهيم عبد الفتاح, ط مجمع البحوث الإسلامية, بدون, إبراهيم عبد الفتاح.
القاموس المحيط, للفيرروزآبادي.
قصص الأنبياء, للإمام أبي الفداء ابن كثير, بدون.
متن الشاطبية المسمى(حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع) للإمام القاسم بن فيُرَّه الشاطبي ت 590 هـ ط دار الهدى ط الثالثة 1417 هـ,ت محمد تميم الزغبي .
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, ط المكتبة العصرية, بيروت 1995 مـ, لأبي الفتح الموصلي, ت/ محمد محي الدين عبد الحميد. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل, , لأبي البركات عبد الله النسفي, ط دار الفكر بدون.
مسند الإمام أحمد بن حنبل, ط/ مؤسسة قرطبة القاهرة, بتعليق/ شعيب الأرناؤوط.
مع قصص السابقين, صلاح عبد الفتاح الخالدي, ط/ دار القلم, ط أولى 1409 هـ /1989 مـ

معالم التنزيل للإمام البغوي, ط/ 1995 مـ
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي, ط دار الحديث القاهرة.
مفاتيح الغيب, للإمام الرازي ت 604 هـ ,ط دار الفكر 1415 هـ 1995
الموسوعة القرآنية الميسرة,إبراهيم الإبياري, ط مؤسسة سجل العرب, 1394 هـ/1974مـ

فهرس الموضوعات

المقدمة...2

المبحث الأول: مرحلة الدعوة والتعريف

أصحاب القرية ومؤمن آل يس نموذجا.............................10

النموذج الأول: أصحاب القرية.............................. 10

القريةوالمرسلون...10

الملمح الأول: (ضرب المثل بهم)..................................11

الملمح الثاني: (حوار أهل القرية).................................12

الملمح الثالث:(ثبات المرسلين)....................................14

الملمح الرابع:(إيمان الذي جاء من أقصى المدينة)....................14
النموذج الثاني: مؤمن آل يس وقضية البلاغ المبين................15
الملمح الأول: كونه جاء (من أقصى المدينة)..........................16
الملمح الثاني: وصفه بأنه(رجل)..17
الملمح الثالث: كونه (يسعى)...17
الملمح الرابع: نداؤه لهم(يا قوم).......................................17
الملمح الخامس:قوله لهم: (اتبعوا المرسلين)...........................17
الملمح السادس:وصفه للمرسلين: (من لا يسألكم أجرا)..................19
الملمح السابع: تمثيله بنفسه: (ومالي لا أعبد)..........................20
الملمح الثامن: قوله: (ترجعون)..21
الملمح التاسع: قوله: (أأتخذ)..22
الملمح العاشر: قوله: (إن يردن الرحمن بضر)..........................23
الملمح الحادي عشر:قوله:(إني إذا)......................................24
المبحث الثاني:مرحلة المشاركة والتأليف: نبي الله يوسف نموذجا....26
- مشروعية طلب يوسف للمشاركة في الحكم القائم....................27
- أسباب طلب يوسف للوزارة...29
- مؤهلات يوسف للوزارة..30
- ثمرات مشاركة يوسف في الحكم القائم.............................31
المبحث الثالث:إقامة الدولة وتمام التمكين
داود وسليمان نموذجا..34
أولا:**القائد الممكن, صفاته وأدواره..................................38**
في العلاقة بينه وبين الله..38
- العبودية المطلقة..39
- رجل أواب...41
- الحكمة..43
- قائد رباني...44

- قائد شاكر..45
- قائد يعتز بالإسلام................................47
في العلاقة بين الحاكم الممكن والرعية.........................49
- العلم...49
- القوة...51
- الحزم...52
- سماع الآخر...53
- حسن التوظيف للأفراد 55
- قائد يتفقد رعيته....................................56
- قائد يحسن عرض قضيته...............................57
- قائد يثق في جنوده 57
جنديُّ التمكين:.......................................58
- إيجابي صاحب حركة.................................58
- ذكيٌّ في عرض قضيته.................................59
- منضبط في سمعه وطاعته.............................60
- معتز برسالته.......................................61
- قادر على تشخيص رؤيته.............................62
- يوظف طاقاته لعقيدته وفكرته........................62
ثانيا: المنهاج أو: (مقومات دولة التمكين)......................63
-منهاج رباني معصوم..................................63
- منهاج إنساني واقعي.................................64
- منهاج عادل..65
ثالثا: الأرض والسمات الحضارية لدولة التمكين:..............66
- دولة العلم والإيمان....................................67
- دولة تجمع بين القيمة والمادة...........................68
-دولة العدالة والحرية...................................68

الخاتمة...69
فهرس المصادر والمراجع..................................70
فهرس الموضوعات..73